العتبة الحسينية المقدسة
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية

سلسلة إصدارات مؤسسة الدليل

الكتيب 02

العلم والدين

د. مصطفى عزيزي

العلم والدين

العلم والدين

د. مصطفى عزيزي

مؤسسة الدليل
للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Foundation
for Doctrinal Studies

http://aldaleel-inst.com

www.facebook.com/aldaleel.ins

هويّة الإصدار

اسم الإصدار: العلم والدين

المؤلّف: د. مصطفى عزيزي

الإشراف العلميّ: المجلس العلميّ في مؤسّسة الدليل

الدعم الفنّيّ: شعبة العلاقات العامّة والإعلام في مؤسّسة الدليل

- **التقويم اللغويّ**: علي گيم
- **تصميم الغلاف**: محمدحسن آزادگان
- **الإخراج الفنّيّ**: محمدحسن البهادلي
- **المنفّذ**: دار المؤمن

الطبعة: الأولى

سنة النشر: 2019

الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنيّة العراقيّة 1551

الرقم الدولي (ISBN): 9789922647302

حقوق الطبع والنشر محفوظةٌ لدى مؤسّسة الدليل

مؤسسة الدليل
للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution
for Doctrinal Studies

http://aldaleel-inst.com

www.facebook.com/aldaleel.inst

المحتويات

كلمة المؤسّسة 9

المقدّمة 15

التعريف بالمفاهيم 21

أ- العلم 21

ب- الدين 29

النظريّات في نسبة العلم والدين.. عرضٌ ونقدٌ 31

أ- تعارض العلم والدين 31

الدراسة النقديّة 46

ب- تمايز العلم والدين 63

الدراسة النقديّة 68

ج- تداخل العلم والدين 71

الدراسة النقديّة 74

د- تعاضد العلم والدين 77

الخدمات المتبادلة بين العلم والدين 85

أوّلًا: خدمة العلم للدين 86

ثانيًا: خدمة الدين للعلم 89

العلاج والحلّ في التعارض بين العلم والدين 97

العلم الدينيّ (Theistic Science) 114

النظريّات حول العلم الدينيّ 116

الخاتمة 125

المصادر 127

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤسّسة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّدٍ المبعوث رحمةً للعالمين وعلى أهل بيته الهداة الميامين.

إنّ العامل الفكريّ والمنظومة العقديّة الّتي يحملها الإنسان تمثّل العامل الرئيسيّ والدافع الأساس الّذي يقف وراء كلّ الأنشطة والسلوكيّات الّتي تصدر عنه، فكان صلاح تلك المنظومة وانسجامها مع الواقع أو فسادها ومخالفتها للواقع، منعكسًا على أغلب السلوكيّات الفرديّة والاجتماعيّة للإنسان، فإمّا أن تشكّل حافزًا قويًّا يشدّه في حركته نحو السموّ باتّجاه كماله المنشود، أو عاملًا يجرّه نحو التسافل والسقوط في دوّامة الفوضى والفساد الّذي لا يخلّف إلّا الاضطراب والضياع.

فالفكر العقديّ هو الرافد الّذي تتدفّق منه حياة الإنسان بكلّ صورها وأشكالها، وهو الأداة الّتي تتحكّم بسلوكيّات الإنسان ومواقفه، وهو الهاجس الّذي يؤرّقه إن لم يجد إجاباتٍ مقنعةً تمنحه

الطمأنينة والاستقرار، فكأنّه المقتضي لاختيار نمط منهج الحياة، الّذي تنبثق منه جميع الدوافع نحو سلوكيّات الإنسان وممارساته الفكريّة والحياتيّة كافّةً.

وهٰذا ما يفسّر اهتمام جميع الرسالات السماويّة الّتي نزلت لأجل هداية الإنسان، وعنايتها الفائقة بالمجال الفكريّ العقديّ للإنسان، وامتلاء صحف أصحابها بما يؤصّل لهٰذا الجانب ويدفع الشبهات عنه، حيث ركّزت حركاتهم الإصلاحيّة وخطاباتهم على تشكيل المنظومة العقديّة وتنميتها وحفظ نقائها من التشويه والخرافات.

ومن جهةٍ أخرى فإنّ كثيرًا من الجهلة والمفسدين يسعون دائمًا لتلويث فطرة الناس وتحريف أفكارهم؛ لأجل التسلّط عليهم فكريًّا وسياسيًّا ومصادرة مقدّراتهم، وقد استعملوا الإفساد الفكريّ والعقديّ سلاحًا لتحقيق مآربهم وأطماعهم الدنيئة، فوظّفوا أدواتهم من وعّاظ سلاطين وأقلامٍ رخيصةٍ ووسائل إعلامٍ مأجورةٍ؛ لرسم عقيدة المحكومين في ظلّ سياسة الهيمنة على الأفكار والمقدّرات، ولم يفتأوا عن استخدام سلاح التشكيك وإلقاء الشبهات في أذهان الناس حول كلّ ما يتعلّق بعقائدهم وإيمانهم، وكذا الاستفادة من الاختلافات الفكريّة، والعمل على توجيه أنظار الناس إلى نقاط الاختلاف، والتعمية على نقاط الاشتراك؛ لإذكاء

الفتن بين الأطراف المتخالفة، وتفتيت وحدتهم، وكسر شوكتهم، وإضعاف عزيمتهم؛ من أجل السيطرة على مشاعرهم والتحكّم في مواقفهم، وإخضاعهم لسلطتهم.

من هنا ينبغي لنا بوصفنا متصدّين للشأن الفكريّ الدينيّ أن نعطي هٰذا العامل اهتمامًا كبيرًا، وأن يكون في أعلى سلّم أولويّاتنا ومشاريعنا الفكريّة الّتي نسعى لتنفيذها؛ لنتمكّن من ترسيخ ما نعتقد بأحقّيّته (العقيدة الإسلاميّة وفق رؤية مدرسة أهل البيت عليهم السلام) الامتداد الطبيعيّ لنبيّ الإسلام محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، كما ينبغي أن نجتهد في طرح هٰذه الرؤية ضمن صياغةٍ معاصرةٍ رصينةٍ، تتناسب ومستوى عراقة مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأصالتها، مستفيدين من معطيات العقل، والنصوص الدينيّة المعتبرة.

ولأجل ذٰلك جاء مشروع **مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة** التابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة؛ ليلبّي قدرًا من الحاجة الملحّة لوجود مؤسّساتٍ تخصصيّةٍ تعمل على الجانب الفكريّ العقديّ، وليحمل على عاتقه مسؤوليّة تأصيل هٰذا الجانب والتصدّي لدفع الشبهات، والتأكيد على العقائد الحقّة بالوسائل والإمكانيّات المتاحة؛ وذٰلك للمساهمة في سدّ الفراغ الفكريّ العقديّ الّذي يعاني منه المجتمع.

وكان من استراتيجيّات المؤسّسة المعتمدة في تحقيق أهدافها كتابة البحوث التخصّصيّة التأصيليّة والنقديّة، وردّ الشبهات في مختلف المواضيع العقديّة، وبالخصوص تلك الّتي تهمّ الساحة الفكريّة بنحوٍ فعليٍّ.

ولمّا كان موضوع "العلاقة بين العلم والدين" من المواضيع المهمّة الّتي طرحت في علم الكلام الجديد، وخصوصًا بعد حصول النهضة العلميّة والصناعيّة في أوربّا؛ بسبب ما وجدوه من تعارضٍ بين القواعد العلميّة الطبيعيّة الّتي كانت تعتمدها الكنيسة هناك، وتعتبرها من الثوابت عندها، وبين الاكتشافات العلميّة الحديثة، ونتيجة السلوكيّات الّتي مورست من قبل زعماء الكنيسة تجاه علماء الطبيعة الّذين اكتشفوا ما يخالف تلك القواعد، فقد حصلت ردّة فعلٍ عند تيّارٍ من المفكّرين والمثقّفين تجاه ذٰلك توهم بوجود تعارضٍ بين العلم والدين، وقد استغلّ بعض روّاد الإلحاد الجديد هٰذا الأمر، وجعلوا منه سببًا للتوهين بالدين وإضعافه في أعين الناس وتصويره بأنّه يدعو للجهل والتخلّف، كلّ ذٰلك لأجل اقصائه عن واقع الحياة الإنسانيّة.

وهٰذا ما دعا المجلس العلميّ في المؤسّسة إلى المصادقة على مشروعٍ يتعرّض إلى هٰذه المسألة بالبحث والتحقيق، وبيان واقع الحال فيها، وقد تحمّل مهمّة كتابة هٰذا البحث **الدكتور مصطفى عزيزي** عضو

المجلس العلميّ، فقام بالمهمّة مشكورًا بكلّ دقّةٍ وإخلاصٍ.

ختامًا تتقدّم مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة بوافر الشكر والامتنان إلى **المؤلّف المحترم** لما قام به من جهدٍ مميّزٍ في تدوين هٰذا البحث القيّم، كما تتقدّم بالشكر الجزيل **للدكتور كمال مسعود ذبيح** عضو المجلس العلميّ، **والدكتور عادل محمد الشريف** مسؤول وحدة الفكر الدينيّ في المؤسّسة؛ لما بذلاه من جهدٍ كبيرٍ في مراجعة هٰذا البحث وتصحيحه، سائلين الله العليّ القدير لهم دوام التقدّم والتوفيق.

المقدّمة

من الأبحاث الّتي تمتدّ جذورها إلى العصور القديمة وهي موضع سجالٍ ونقاشٍ في الأوساط العلميّة على مرّ الدهور بحث "العلم والدين". ولا يخفى على الخبير أنّ مسير تاريخ البشريّة رهينٌ بموضوع "العلاقة بين العلم والدين"؛ يقول آلفرد نورث وايتهد (Alfred North Whitehead) (1861-1947م): «لا شكّ في أنّ مسير المستقبل لتاريخ البشريّة يرتبط بالموقف الّذي يتّخذه هٰذا الجيل الراهن من علاقة العلم والدين. نحن نمتلك مصدرين للقوّة والطاقة اللذين لهما تأثيرٌ بالغٌ وشديدٌ في الناس، ويبدو أنّهما متقابلان ومتنافيان: قوّة الشهود الدينيّ، وقدرتنا على المشاهدة الدقيقة والاستنتاج المنطقيّ»[1].

قد اهتمّ المفكّرون والعلماء بموضوع العلم والدين في عصر

---

(1) Alfred North Whitehead. Science and the Modern World (New York: The Free Prss, 1925), PP. 181-82.

الحداثة أشدّ الاهتمام. ينبغي هنا أن نشير إلى المراحل والحقب التاريخيّة الّتي مرّت على الفلسفة الغربيّة لنرى أنّ موضوع التعارض بين العلم والدين يتعلّق بأيّ مرحلةٍ زمنيّةٍ بالضبط؛ يقسَّم تاريخ فلسفة الغرب إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى: اليونان القديمة.

المرحلة الثانية: القرون الوسطى.

المرحلة الثالثة: العصر الحديث أو الحداثة.

المرحلة الرابعة: هي الفترة المعاصرة (ما بعد الحداثة).

إنّ مسألة العلم والدين تتعلّق غالبًا بالمرحلة الثالثة من تاريخ الفكر والثقافة الغربيّة، وهي مرحلة الحداثة الّتي ازدهرت وتطوّرت فيها العلوم التجريبيّة في ضوء الاكتشافات الباهرة والمدهشة للعلوم والتقنيّة. وقد حصل الإنسان في هٰذا العصر على قدرةٍ وسلطةٍ قاهرةٍ في تسخير الطبيعة له، وقام بابتكار أنواع التقنيّات والأدوات والأجهزة للحصول على الرفاهية والراحة واللذّة في حياته أكثر فأكثر، فاغترّ بهٰذا التطوّر والتقدّم العلميّ،

الأمر الّذي أدّى به إلى جعل العلم محلّ الدين والتشريع الإلٰهيّ، ومن هنا بدأ موضوع تعارض العلم والدين[1].

ومع أنّ موضوع "العلم والدين" لا ينحصر في مسألة التعارض بين العلم والدين[2]، بل له نطاقٌ أوسع، ولٰكن مع ذٰلك فإنّ أبرز مسألةٍ شغلت ذهن المتديّنين والمثقّفين هي كيفيّة معالجة التعارض بين العلم والدين وحلّه. وقد استغلّ بعض الملحدين مسألة تعارض العلم والدين"، وجعلوا منه سببًا لإقصاء الدين وتضعيفه وتشويه صورته الناصعة بين الشباب.

ويمكن للباحث أن يدرس موضوع "العلم والدين" من ثلاث جهاتٍ:

أ- أن نجعل الدين محورًا ومعيارًا في البحث، ثمّ نقيس القضايا

---

(1) فرامرز قراملكى، احد، هندسهى معرفتى كلام جديد [الهندسة المعرفيّة للكلام الجديد]، ص **216**.

(2) ذكر المفكّرون عدّة نظريّاتٍ حول نسبة "العلم والدين" إحداها نظريّة التعارض بينهما، ولٰكن لا تنحصر نسبة العلم والدين في التعارض فحسب؛ بل هناك نظريّاتٌ أخرى مثل: "تمايز العلم والدين"، و"تداخل العلم والدين"، و"تعاضد العلم والدين"، و"العلم الدينيّ". وقد تمّ استعراض هٰذه النظريّات وتقييمها في هٰذا التحقيق.

العلميّة به، بحيث نرى أيّ القضايا والقوانين العلميّة الّتي تتلاءم مع القضايا الدينيّة، وأيًّا منها تخالف الدين وتعارضها.

ب- أن نضع العلمَ والقضايا العلميّة محورًا وأساسًا في البحث، ثمّ نقيس القضايا الدينيّة به. فبناءً على هٰذا الاتّجاه يمكن تقسيم القضايا الدينيّة إلى ثلاثة أقسامٍ:

1- ما يؤيّده العلم ويقبله (القضايا المقبولة المسلّمة عند العلم).

2- ما يرفضه العلم ويردّه (القضايا المرفوضة لدى العلم).

3- ما يسكت عنه العلم فلا يقبله ولا يرفضه (القضايا المسكوت عنها في العلم).

ولا شكّ في أنّ المقصود من القضايا الدينيّة ليس مطلق القضايا الدينيّة، بل القضايا المتعلّقة بالأمور الطبيعيّة والفيزيائيّة المذكورة في النصوص الدينيّة.

ج- أن لا نجعل الدين أو العلم محورًا ومقياسًا في البحث، بل نقوم بالمقارنة والمقايسة بينهما سويًّا، وقد اعتمدنا على هٰذه الجهة في البحث، والسرّ في ذٰلك هو الحفاظ على الحياديّة والإنصاف والموضوعيّة في البحث وعدم الحكم المسبَق لصالح أحدهما في مجال البحث العلميّ.

وهناك أسئلةٌ مهمّةٌ تُطرح حول نسبة العلم والدين في ذهن الإنسان ينبغي أن نعالجها في هٰذا المجال:

ما المقصود من "الدين" و"العلم" في هٰذا العنوان؟ ما هي النسبة بين الدين والعلم من بين النِسب الأربع المنطقيّة؟ ما هي النظريّات المقترحة من قِبل المدارس الفكريّة الغربيّة والإسلاميّة حول نسبة العلم والدين؟ ما أدلّة القائلين بنظريّة التعارض بين العلم والدين؟ على فرض تحقّق التعارض بين العلم والدين ما هو الحلّ والعلاج في التخلّص من التعارض؟ هل هناك تعاضدٌ وتوافقٌ بين العلم والدين؟ وعلى فرض التعاضد ما هي الخدمات المتبادلة بينهما؟ ما المقصود من نظريّة "العلم الدينيّ" الّتي اشتهرت في الأوساط العلميّة؟ هل من الممكن أو من الضروريّ أن نعتقد بالعلم الدينيّ؟ وما هي أدلّة المناصرين لهٰذه النظريّة؟ وما هي أدلّة النافين لها؟ نحاول في هٰذا البحث الإجابة على هٰذه الأسئلة المهمّة في موضوع "العلم والدين".

التعريف بالمفاهيم

قبل الخوض في صلب الموضوع يجب إيضاح مفهوم "العلم" و"الدين"؛ لنتعرّف على مدى نسبة التعارض أو التعاضد بينهما بشكلٍ صحيحٍ:

أ- العلم

مفردة "العلم" في اللغة بمعنى "نقيض الجهل"[1]. "العلم" مشتركٌ لفظيٌّ بين عدّة معانٍ ينبغي أن نستعرضها في هٰذا المجال؛ لنتجنّب مغالطة الاشتراك اللفظيّ، وهي كالتالي:

1- العلم هو حالةٌ نفسيّةٌ لا يُراعى فيها مطابقة الواقع أو عدمها، فإذا جزم الإنسان وتيقّن بشيءٍ ولم يحتمل الخلاف فيه، فهٰذه الحالة النفسيّة علمٌ في مقابل الظنّ والشكّ والوهم الّذي يتسرّب فيه احتمال الخلاف من قِبل المدرِك. فهٰذا النوع من العلم يرتبط بالحالة

---

(1) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج 4، ص 110.

النفسيّة للعالِم، ولا يتعلّق بمطابقة الموضوع للواقع؛ لذا فلو كان العلم بهٰذا المعنى مخالفًا للواقع، ولٰكن العالِم يتيقّن ويجزم بشيءٍ يُعدّ هٰذا علمًا.

2- الإدراك المطابق للواقع ولا يُلاحظ فيه اليقين الشخصيّ للعالِم، بل الركيزة الأساسيّة في هٰذا المعنى هي المطابقة للواقع، فإذا كان الإدراك مطابقًا للواقع العينيّ فهو "علمٌ" وإلّا يُعدّ جهلًا، وإن كان المُدرِك على يقينٍ جازمٍ منه. والعلم بهٰذا المعنى العامّ يشمل جميع العلوم التجريبيّة والعلوم الدينيّة والإنسانيّة والمعارف الكشفيّة وغيرها من العلوم البشريّة.

3- الإدراك الحصوليّ المطابق للواقع، سواءٌ كان يحتوي على القضايا الجزئيّة الشخصيّة أو القضايا الكلّيّة العامّة. يخرج حسب هٰذا الاصطلاح العلم الحضوريّ الشهوديّ من إطار العلم، ويشمل جميع العلوم الحصوليّة والقضايا العلميّة المطابقة للواقع الخارجيّ، سواءٌ كانت من العلوم الطبيعيّة أو الإنسانيّة أو التاريخيّة أو الاجتماعيّة أو غيرها من المعارف الحصوليّة البشريّة.

4- العلم بمعنى القضايا المتضمّنة للتوصيات العمليّة والقيَم الّتي تقترح أمورًا عمليّةً وتطبيقيّةً لمعالجة المشاكل المتعلّقة بالعمل لا

بالنظر. بعبارةٍ أخرى هناك من العلوم ما يقوم بمهمّة الكشف عن الواقع وتوصيفه فحسب، ومنها ما يهتمّ بالتوصية والجانب العمليّ والقيميّ للأشياء، وما ينبغي أن يفعله الإنسان أو يتركه. ومنها ما يعتني بكلا الجانبين؛ على سبيل المثال "علم النفس" تارةً يقوم بكشف العلاقات بين سلوكيّات الإنسان وحالاته النفسيّة، أو يبحث عن أسباب طروّ حالةٍ نفسيّةٍ خاصّةٍ أو تصرّفٍ وسلوكٍ خاصٍّ، وعلم النفس في هٰذا المستوى شأنه التوصيف والكشف والنظر. ولٰكنّ له جانبًا آخر وهو جانب المشورة والتوصية العمليّة لمعالجة مرضٍ نفسيٍّ أو وسواسٍ فكريٍّ أو سلوكٍ منحرفٍ؛ لذا يقترح وصفةً طبّيّةً نفسيّةً للتداوي. فالعلم بهٰذا المصطلح بمعنى التوصية والإرشاد وإعطاء وصفةٍ عمليّةٍ لعلاج مشكلةٍ في واقع الحياة.

5- المعرفة الحصوليّة الكلّيّة الحقيقيّة، وهٰذا المعنى من العلم محدَّدٌ يشمل العلوم الحصوليّة الحقيقيّة وحسب، في مقابل العلوم الاعتباريّة الوضعيّة. والعلوم الحصوليّة تدرس تارةً الموضوعات العينيّة الكونيّة الّتي لها مصداقٌ وما بإزاءٍ في الخارج، كعلم الفيزياء والكيمياء والفلسفة وغيرها من العلوم الحقيقيّة، وتارةً تدرس الأمور الوضعيّة الاعتباريّة الّتي لا مصداق مستقلًّا لها في الواقع، كعلم اللغة، وعلم القانون الّذي يحتوي على قوانين جزائيّةٍ

تشرّعها وتقنّنها الجهات المعنيّة بالتشريع والتقنين.

6- العلوم التجريبيّة الّتي تكشف عن الواقع المحسوس المادّيّ بالمنهج التجريبيّ الحسّيّ ويعبّر عنها بـ" science" - في قبال مطلق العلم الّذي يُعبّر عنه بـ "knowledge" - تنقسم إلى قسمين:

أ- العلوم الطبيعيّة مثل علم الأحياء والفيزياء والكيمياء وعلم الأرض وغيرها.

ب- العلوم الإنسانيّة الّتي تنبني على المنهج التجريبيّ كعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلم الإدارة وغيرها[1].

والمقصود من مفردة "العلم" في هٰذا التحقيق هو العلوم التجريبيّة الشاملة للعلوم التجريبيّة الطبيعيّة والعلوم التجريبيّة الإنسانيّة.

وللعلوم التجريبيّة خصائص وميزاتٌ تمتاز بها عن سائر العلوم والمعارف البشريّة نشير إليها:

1- متعلَّق العلم في العلوم التجريبيّة هو الأشياء والظواهر

(**1**) مصباح يزدى، محمدتقى، رابطهى علم و دين [علاقة العلم والدين]، ص **148**.

المادّيّة المحسوسة العينيّة ولا غير، فالعلوم التجريبيّة محصورةٌ في نطاق المادّة والمادّيّات.

2- إثبات المحمول للموضوع في هٰذه القضايا التجريبيّة عن طريق التجربة الحسّيّة فحسب، بحيث يمكن عرضها وإثباتها للآخرين، ويستطيع كلُّ إنسانٍ تكرار هٰذه التجربة العينيّة الملموسة.

3- العلم الطبيعيّ يعتمد على الفرضيّات الّتي يُرجى إثباتها بالمنهج التجريبيّ الحسّيّ، فتنقدح في ذهن العالِم فرضيّةٌ خاصّةٌ، ويحاول إثباتها عبر الملاحظة والتكرار والاختبار؛ فلذا تخرج العلوم والمعارف الّتي يتمّ إثباتها بالعقل والشهود الباطنيّ والوحي عن دائرة العلم حسب هٰذه الرؤية.

4- القانون والنظريّة العلميّة لا بدّ أن تتمتّع بالنسق والنظم الدائم، وأن تكون على نحو القضيّة الموجبة الكلّيّة. إنّ خصلة الدوام والثبات والكلّيّة من الركائز الأساسيّة في النظريّة العلميّة. على سبيل المثال: "كلّ ماءٍ يتألّف دائمًا من عنصرين هما الأوكسجين والهيدروجين"، أو "أنّ الحرارة تنتقل بشكلٍ طبيعيٍّ من الجسم الحارّ إلى الجسم البارد في جميع الأزمنة والأمكنة".

فإذا انتقضت القضيّة التجريبيّة في بعض الأحيان وفي بعض

الموارد، فهي ليست بقضيّةٍ علميّةٍ؛ لذا تطرح القضيّة العلميّة بشكل الموجبة الكلّيّة أو السالبة الكلّيّة وبشكلٍ ضروريٍّ غير محتملٍ.

5- النظريّة العلميّة تفسح المجال للتنبّؤ بالأمور في المستقبل، بحيث يمكن في ضوئها الكشف عن بعض الأحداث والأمور الّتي ستقع في المستقبل؛ فإرسال القمر الصناعيّ إلى الفضاء، أو استعمال الأدوية، أو استخدام الأجهزة والأدوات كالطائرات والمصاعد الكهربائيّة وما شابه ذٰلك يعتمد على الثقة والاطمئنان بالتنبّؤ العلميّ، وإخبار العلم عن الأمور الثابتة في الآتي. فالّذي يمتلك معادلة تكوين الماء يطمئنّ أنّه إذا ألّف بين الأوكسجين والهيدروجين في المستقبل، فإنّه سيتمكّن على إنتاج الماء بشكلٍ قطعيٍّ وحتميٍّ.

6- قابليّة الإبطال من الخصائص المهمّة للقضايا العلميّة؛ بمعنى أنّ القوانين العلميّة ليست متلائمةً مع جميع الظروف، بل تبطل في بعض الظروف ولا تصدُق فيها[1].

7- ليست العلوم التجريبيّة ومعطياتها يقينيّةً وغير قابلةٍ للإبطال والنقض؛ لأنّ المنهج التجريبيّ يعجز عن اكتشاف العلّة

---

(1) سروش، عبدالكريم، دانش و ارزش [العلم والقيمة]، ص 105.

المنحصرة والنهائيّة بين الأشياء والظواهر. فلعلّ هناك عللًا وأسبابًا خفيت على العالم التجريبيّ تكتشف في المستقبل، مع أنّ المنهج التجريبيّ يعتمد على عمليّة الاستقراء الّذي لا يفيد إلّا الظنّ والتخمين، إلّا أن يُدعم بالبرهان والدليل العقليّ.

الجدير بالذكر: أنّ المنهج التجريبيّ بدليل قصوره ومحدوديّته لا يستطيع أن يعثر على العلل والأسباب غير المحسوسة وغير المادّيّة في تحقّق الأشياء والأحداث، ولا يحقّ للتجربة الحسّيّة أن تنفي وترفض ما لا تثبته بالأدوات التجريبيّة المتأطّرة بإطار الحسّ والمادّة؛ لأنّ الحصول على ما وراء الحسّ والمادّة يحتاج إلى أدواتٍ ومناهج تنسجم مع ما وراء الطبيعة، وأمورٍ غير محسوسةٍ كالعقل والوحي والشهود الباطنيّ؛ لذا نرى الكثير من الفرضيّات والقوانين التجريبيّة تنتقض وتُبطل بعد فترةٍ بسبب اكتشافات جديدةٍ وفرضياتٍ حديثةٍ، فالقضايا التجريبيّة تنتظر إبطالها ونسخها بطروّ فرضيةٍ جديدةٍ، فليس هناك نظرياتٌ وقواعد قطعيّةٌ يقينيّةٌ في العلوم التجريبيّة، فليس التعارض بين العلوم التجريبيّة والمعارف الدينيّة تعارضًا بين أمرين قطعيّين محسومين، بل أحد طرفي التعارض ظنّيٌّ دائمًا[1].

(**1**) مصباح يزدى، محمدتقى، رابطهى علم و دين [علاقة العلم والدين]، ص **148**.

ومن جملة الشواهد الّتي تؤيّد ما ذكرناه أنّ العالم الرياضيّ الكبير هيلبرت (David Hilbert) في أواخر القرن التاسع عشر أبدع نهضةً علميّةً في "علم الرياضيّات"؛ إذ أراد أن يخترع نظامًا مبنيًّا على أساس "الأصول" الّتي تحتوي على جميع قواعد علم الرياضيّات من دون نقصٍ وخللٍ، بحيث يمكن تحديد الصدق والكذب لأيّ قضيّةٍ رياضيةٍ. أراد هيلبرت أن يحوّل كلّ الرياضيّات إلى مجموعةٍ من القضايا الشكليّة. وفي سنة 1930 أثبت كورت جودل (Kurt Gödel) أنّ هناك قضايا في علم الرياضيّات لا يمكن إثبات صدقها وكذبها في ضوء هٰذه الأصول الشكليّة. وبما أنّ العلوم الطبيعيّة تبتني على الرياضيّات، وأنّ الرياضيّات لا يمكن أن تبيّن جميع الحقائق، فالعلوم الطبيعيّة لا يمكن لها أن تُثبِت جميع الحقائق. فلا ندري هل النظريّة الّتي أُبدعت نظريّةٌ نهائيّةٌ أو لا؟ إذن هناك أسئلةٌ بلا جوابٍ في علم الفيزياء دائمًا[1].

إنّ المشكلة الرئيسة في العلوم والقضايا العلميّة التجريبيّة تكمن في الناحية الأبستمولوجيّة (البُعد المعرفيّ)؛ لأنّها تحصر القيمة المعرفيّة

---

(1) گلشنی، مهدی، علم و دین و معنویت در آستانه‌ی قرن بیست و یکم [العلم والدين والمعنويّة في أعتاب القرن الحادي والعشرين]، ص 32.

والكشف عن الواقع في المعرفة الحسّيّة التجريبيّة، وتنفي القيمة المعرفيّة والاعتبار عن سائر مصادر المعرفة، كالعقل والوحي والمعرفة الحضوريّة الباطنيّة، ففي الحقيقة فإنّ العلم التجريبيّ (science) يتجاوز حدّه ونطاقه، وينفي معتنقوه ما وراء الحسّ والتجربة الحسّيّة، والحال أنّ المنهج التجريبيّ يفيد في إطار المحسوسات فحسب، ولا يجوز له أن يحكم على ما وراء الطبيعة لا بالإيجاب ولا بالسلب، بل عليه أن يسكت ويصمت أمام القضايا المتافيزيقيّة، ولا يتعدّى طوره؛ يقول العلّامة الطباطبائيّ في هٰذا المجال:

«فإنّ العلم الباحث عن المادّة وخواصّها ليس من وظيفته أن يتعرّض لغير المادّة وخواصّها لا إثباتًا ولا نفيًا. ولو فعل شيئًا منه باحثٌ من بحّاثه كان ذٰلك منه شططًا من القول، نظير ما لو أراد الباحث في علم اللغة أن يستظهر من علمه حكم الفلك نفيًا أو إثباتًا»[1].

ب- الدين

هناك تعاريف متعدّدةٌ لمفردة "الدين"، بحيث لا يتيسّر الحصول على تعريفٍ جامعٍ شاملٍ لجميع الأديان. ولٰكنّ المراد من الدين في

(1) الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج 1، ص 89.

هٰذا البحث هو: «مجموعةٌ مؤلّفةٌ من المعتقدات والرؤية الكونيّة الّتي تبحث عن المسائل النظريّة كالمبدإ والمعاد، وأيضًا مجموعةٌ من القيم الأخلاقية الّتي ترشد الإنسان إلى الفضائل الإنسانيّة وتنهيه عن الرذائل النفسانيّة، وأيضًا مجموعةٌ من القوانين والأحكام الفرعيّة السلوكيّة والعبادات الفرديّة والاجتماعيّة الّتي جاءت من قِبل الله - تعالى - عن طريق أنبيائه العظام عليهم السلام؛ لتحقيق السعادة الدنيويّة والأخرويّة للإنسان، والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة[1]. فالمقصود من الدين في هٰذا التحقيق يشمل جميع الأديان التوحيديّة، ويركّز على الجوانب المشتركة بين الأديان، ولٰكنّ المصداق الأتمّ للدين في بحثنا هو الدين الإسلاميّ الأصيل.

---

(1) جوادى آملى، عبدالله، منزلت عقل در هندسه‌ى معرفت دينى [منزلة العقل في هندسة المعرفة الدينيّة]، ص **19**.

النظريّات في نسبة العلم والدين.. عرضٌ ونقدٌ

لم يسكت الفلاسفة والمفكّرون أمام التطوّرات والاكتشافات العلميّة المدهشة والسريعة، واهتمّوا ببيان النسبة بين القضايا الدينيّة والقضايا العلميّة، بحيث أُبدعت نظريّاتٌ متعدّدةٌ حول بيان النسبة بين العلم والدين. وهنا نبحث عن أربعٍ من النظريّات المشهورة في الأوساط العلميّة وهي عبارةٌ عن: نظريّة "التعارض بين العلم والدين"، ونظريّة "تمايز العلم والدين"، ونظريّة "تداخل العلم والدين"، ونظريّة "تعاضد العلم والدين"، ثمّ نقوم بالدراسة النقديّة لها، وفي آخر المطاف نشير إلى النظريّة المختارة.

أ- تعارض العلم والدين

التعارض لغةً من العَرْض وهو الّذي يُخالف الطُّول؛ عارضْتُ فلانًا في السَّير، إذا سرتَ حِيالَه. وعارَضْتُه مِثْلَ ما صَنَعَ، إذا أتيت إليه مثلَ ما أتى إليك. ومنه اشتُقَّت المعارَضة. وهٰذا هو القياس، كَأَنَّ

عَرْض الشَّيء الّذي يفعلُه مثلُ عَرْض الشيء الّذي أتاه[1]. فالتعارض بمعنى جعل الشيء حذاء الشيء الآخر وفي قباله، والعرضيّة بهٰذا المعنى، كما قد تكون بملاك التماثل والمباراة بين الشيئين، فيقال عارض فلانٌ شعر المتنبّي، بمعنى أنشد مثله، كذٰلك قد تكون بملاك التناقض والتكاذب بين شيئين، فالتقابل والمباراة بينهما يجعل أحدهما في عرض الآخر. فبهٰذه المناسبة وعلى أساس هٰذا الاعتبار سمّي الكلامان المتكاذبان بالمتعارضين[2].

بناءً على ذٰلك، المراد من التعارض في مبحث "تعارض العلم والدين" هو التنافي بين شيئين على وجه التناقض والتضادّ، بحيث يكذّب أحدهما الآخرَ في الحكاية والكشف عن الواقع.

إنّ التعارض بين العلم والدين يكون تارةً على مستوى المبادئ والأسس، على سبيل المثال: أنّ هناك مبدأً أو افتراضًا مسبَقًا في العلوم التجريبيّة، وهو: "أنّ كلّ حادثةٍ أو ظاهرةٍ مادّيّةٍ لها سببٌ مادّيٌّ"، فالعالِم التجريبيّ ما دام لم يعتمد على هٰذا المبدإ والمفروض لا يمكن له أن يدخل في العلوم التجريبيّة ويبحث فيها؛ فلذا نجد أنّ

---

(1) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج **4**، ص **272**.

(2) الصدر، محمدباقر، بحوثٌ في علم الأصول، ج **7**، ص **13**.

علماء الطبّ لم ييأسوا من اكتشاف أسباب السرطان؛ لأنّهم يتّكئون على هٰذا المفروض وهو "أنّ كلّ ظاهرةٍ مادّيّةٍ لها عللٌ وأسبابٌ مادّيّةٌ". يمكن أن يتعارض هٰذا المبدأ العلميّ المذكور مع مبدإٍ دينيٍّ آخر وهو: "أنّه قد يمكن أن يكون للأحداث والظواهر المادّيّة أسبابٌ غيرُ مادّيّةٍ" وقد فسّر بعض فلاسفة الدين "المعجزةَ" من هٰذا القبيل. فهناك تعارضٌ بين المبدئَين التجريبيّ والدينيّ[1].

وتارةً التعارض بين العلم والدين يكون على مستوى المسائل والقضايا مثل التعارض المزعوم فيما ذكره القرآن الكريم حول "السماوات السبع والأرضين السبع": ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾[2]، وبين المستجدّات العلميّة الّتي تشكّك في ذٰلك. أو التعارض المدّعى بين الآية الشريفة: ﴿**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**﴾[3]، وبين المعلومات الطبّيّة المخالفة لخروج الماء من الصلب والترائب.

---

(1) ملكيان، مصطفى، مقاله: بررسى گونه‌هاى تعارض بين علم و دين [دراسة أنواع التعارض بين العلم والدين]، مجلّه‌ى مصباح، عدد 10، ص 67.

(2) سورة الطلاق: 12.

(3) سورة الطارق: 5 - 7.

وتارةً التعارض بين العلم والدين يكون على مستوى اللغة مثل ما يدّعى بعض المفكّرين الغربيّين من أنّ اللغة الدينيّة هي لغةٌ رمزيّةٌ أسطوريّةٌ لا تعبّر عن الواقع ولا تحكي عنها، بل هي رموزٌ وعلاماتٌ إلى ما ورائها. ولٰكن في المقابل هناك نظريّاتٌ تركّز على أنّ اللغة الدينيّة هي لغةٌ دلاليّةٌ تعبّر عن الواقع وتكشف عنه، وليست هي لغةً رمزيّةً أسطوريّةً تمثيليّةً.

ومرّةً أخرى التعارض بين العلم والدين يكون على مستوى المنهجيّة مثل ما يعتقد به المتديّنون من أنّ هناك مشاكل ومعضلاتٍ في حياة البشر لا يمكن حلّها ومعالجتها عن طريق الاعتماد على المصادر المعرفيّة المعهودة المألوفة عند الإنسان كالحسّ والعقل والعلم الحضوريّ، بل يجب الاعتماد على الوحي والمصدر الغيبيّ للمعرفة في معالجتها. ولٰكن هناك من العلماء التجريبيّين من يعتقد خلاف ذٰلك، ويركّز على أنّ المشاكل البشريّة يمكن حلّها في ضوء المصادر المعرفيّة المألوفة عند البشر مثل الحسّ والعقل، ولا نحتاج إلى الوحي والمعرفة الغيبيّة لإدارة حياة البشر. فهناك نوعٌ من التعارض في المناهج المعتمدة عليها من الطرفين.

ولٰكن ما يهمّنا في هٰذا المقال هو التعارض على مستوى المسائل والقضايا العلميّة والدينيّة.

شروط التعارض

لا يتحقّق التعارض بين أمرين إلّا إذا توفّرت فيه شروطٌ عديدةٌ، منها:

1- **الاشتراك والاتّحاد في الموضوع والغاية والمنهج**: أمّا الاشتراك والتوافق في الموضوع بمعنى أنّ هناك مواضيع ومحاور يهتمّ بها الدين كما يهتمّ بها العلم نفسها، فهناك نطاقٌ وإطارٌ مشتركٌ بين الموضوع الّذي يدرسه العلم والدين معًا، سواءٌ كان النطاق والمساحة المشتركة بين العلم بنحو التساوي أو بنحو العموم والخصوص من وجهٍ. فإذا لم يكن هناك مساحةٌ مشتركةٌ بين مواضيع الإلٰهيّات والأمور الطبيعيّة المادّيّة، بل كان لكلّ واحدٍ منهما إطارٌ مستقلٌّ على حدةٍ، فلن يتحقّق التعارض بينهما. فعلى سبيل المثال إبداء الرأي في موضوع خلقة الإنسان، أو مركزيّة الأرض أو الشمس، أو حركة الأرض، أو مراحل تطوّر الجنين، وما شابه ذٰلك يُعدّ من المساحة المشتركة بين العلم والدين، وإن كانت هٰذه المساحة المشتركة والنطاق المشترك بنحو الموجبة الجزئيّة لا الموجبة الكلّيّة.

كذٰلك إذا كانت غاية الدين والإلٰهيّات هي تبيين الأشياء والظواهر الطبيعيّة، فيتحقّق التنافس والتعارض بين العلم والدين؛

لأن هناك غايةً مشتركةً يستهدفها كلّ واحدٍ من العلم والدين. على سبيل المثال موضوع "خلقة الإنسان" يُعدّ من المسائل الّتي يتنافس العلم والدين فيها، وهٰذا التنافس يؤدّي عادةً إلى التعارض بينهما؛ لأنّ شروط التعارض متوفّرةٌ فيها[1].

أمّا الاشتراك والاتّحاد في المنهجيّة بمعنى أنّ كلّ واحدٍ من العلم والدين يعتمد على المنهج التجريبيّ الحسّيّ في كشف القضايا والأمور الطبيعيّة؛ فما دام لم يكن هناك منهجٌ مشتركٌ بين الحقلين، فلا يتحقّق التعارض بينهما.

2- **الاشتراك والاتحاد في اللغة**: لا يتحقّق التعارض بين العلم والدين إلّا إذا كان هناك لغةٌ مشتركةٌ واحدةٌ بينهما، تُستخدم لبيان موضوعٍ واحدٍ وإثباته. فقد اعتمد بعض الفلاسفة لأجل معالجة التعارض بين العلم والدين على التفريق والتفكيك بين اللغة الّتي يستخدمها كلّ واحدٍ منهما. على سبيل المثال يميّز ويتغنشتاين (Ludwig Wittgenstein) بين لغة الدين ولغة العلم، ويركّز على أنّ القضايا الدينيّة - كالقضايا الّتي تدلّ على وجود الله وصفاته أو المعاد

(1) Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.293.

أو غيرها - لا تعطي ولا تمنح معنًى عينيًّا للإنسان. بل القضايا المفيدة والمانحة للمعنى هي القضايا العلميّة الّتي تحكي عن الواقع العينيّ وتعكسه[1].

3- **التنافي والتطارد بين الحكمين**: لا يتحقّق التعارض بين القضايا الدينيّة والعلميّة إلّا إذا كانت النسبة بينهما على نحو السلب والإيجاب، بحيث لا يجتمعان معًا. مثلًا إذا أخبرت القضايا الدينيّة بأنّ الإنسان خُلق دفعةً واحدةً، وأخبرت القضايا العلميّة بأنّ خلقة الإنسان خلقةٌ متدرّجةٌ ضمن مراحل طويلةٍ وطبيعيّةٍ، فهناك يحصل التعارض بينهما، بحيث لا يبقى للإنسان إلّا أن يختار أحدهما[2].

بناءً على هٰذه الشروط الثلاثة ينبغي أن نبحث وندرس نسبة العلم والدين، ونحكم هل هناك تعارضٌ بين القضايا العلميّة والدينيّة أو لا؟ قبل كلّ شيءٍ ينبغي أن نذكر نبذةً تاريخيّةً مختصرةً عن

(**1**) ساجدى، ابوالفضل، دين در نگاهى نوين، [الدين في رؤيةٍ جديدةٍ] ص **79**.

(**2**) Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.293.

انظر أيضًا:

- على زمانى، امير عباس، "علم، عقلانيت و دين" [العلم والعقلانيّة والدين]، ص **132**.

تطوّر نظريّة التعارض بين العلم والدين في العالم الغربيّ.

التطوّر التاريخيّ لتعارض العلم والدين

طرحت مسألة تعارض العلم والدين في العالم الغربيّ في سنة 1616 م، عندما أدانت الكنيسة الكاثوليكيّة الروميّة ورفضت نظريّة مركزيّة الشمس وحركة الأرض حولها المسمّاة بالنظريّة الكوبرنيكيّة، والّتي كانت في تضادٍّ مع النظريّة البطلميوسيّة الّتي تركّز على محوريّة الأرض وحركة الشمس حولها. كان غاليله (Galileo Galilei) يدافع عن نظريّة كوبرنيكوس (Nicolaus Copernicus) أشدّ الدفاع، ولٰكن ندّدت الكنيسة بغاليله، وجعلت كتاب كوبرنيكوس في قائمة الكتب الضالّة الممنوعة، وخصّصت الكنيسة حقّ تفسير الكتاب المقدّس لنفسها، ولم تسمح للعلماء أمثال غاليله أن يُبدوا رأيًا مخالفًا ومغايرًا لرأي الكتاب المقدّس.

من هنا بدأت مسألة التعارض والتنافي بين العلم والدين تشتدّ في العالم الغربيّ، واتّسعت الهوّة والفجوة بينهما عندما طرح تشارلز داروين (Charles Darwin) (1809–1882) نظريّة "تطوّر الأنواع" في قبال نظريّة "ثبات الأنواع" الّتي كانت تدافع عنها الأديان الإبراهيميّة.

بُنيت نظريّة داروين على ثلاثة أركانٍ: 1- التبدّلات المشوّشة وغير المنظّمة. 2- تنازع البقاء. 3- الانتخاب الأصلح.

وترتكز نظريّة داروين على خلقة الإنسان وتكامله التدريجيّ من أصلٍ حيوانيٍّ.

كانت نظريّة داروين تهدّد القضايا الدينيّة من ثلاث جهاتٍ: 1- بيّنت الأديان التوحيديّة أنّ خلقة الإنسان كانت بصورةٍ دفعيّةٍ غير تدريجيّةٍ، وكان منشؤها إلهيًّا. 2- التشكيك والطعن في برهان النظم والتركيز على الصدفة. 3- التشكيك في المكانة العالية والمنزلة الرفيعة لموقع الإنسان في الكون بوصفه خليفة الإله[1].

ثمّ اشتهرت نظريّة التحليل النفسيّ لفرويد (Sigmund Freud) (1856-1939) في الأوساط العلميّة، خاصّةً بين علماء النفس؛ إذ يعتقد بأنّ الدين نشأ من قمع الميول وتنكيب الغرائز النفسيّة. وقد هدّدت آراء فرويد القضايا والآراء الدينيّة حول حقيقة الإنسان ومنزلته الرفيعة في الكون، وحطّت من شأن الإنسان في كونه خليفة

---

(1) گلشنی، مهدی، علم و دین و معنویت در آستانه‌ی قرن بیست و یکم [العلم والدين والمعنويّة في أعتاب القرن الحادي والعشرين]، ص **13** و**14**.

الله في الأرض. وكان فرويد يعدّ الدين وهمًا، ومنبثقًا عن الجهل والضعف في عقل الإنسان، بل يعدّ الدين أخطر عدوٍّ للعلم[1].

الجدير بالذكر هو: أنّ من يتصوّر أنّ التطوّرات العلميّة في مجال العلوم التجريبيّة والإنسانيّة وضعت القضايا الدينيّة أمام التحدّيات الخطيرة فهم قد وقعوا في خطإٍ فادحٍ؛ ذٰلك لأنّ رؤيتهم إلى الدين مبنيّةٌ على الإلٰهيّات المسيحيّة الّتي تعتقد بتجسّد الله تعالى، وهٰذا لا ينسجم مع الرؤية الإسلاميّة الأصيلة. فلا تعارض بين التطوّرات العلميّة وبين القضايا والمعارف الإسلاميّة، بل هٰذه التطوّرات تؤيّد الدين الإسلاميّ تأييدًا تامًّا.

السؤال المطروح هو: ما هو موقف المفكّرين من هٰذه التعارضات والتحدّيات الّتي جعلها تطوّر العلوم أمام الدين؟

بدأت الكنيسة الكاثولكيّة تدافع عن الدين ومدّعيات الكتاب المقدّس، وترفض الآراء العلميّة المخالفة له، بحيث جعلت الكنيسة معتقدات الكتاب المقدّس معيارًا وميزانًا للقبول والرفض، في المقابل

(**1**) المصدر السابق، ص **18**؛ راجع أيضًا:

- Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.291 .

رفضت النزعة "الطبيعيّة التكامليّة" (Evolutionary Naturalism) المسيحيّة مع جميع معتقداتها، ونفت موجودًا وراء عالَم الطبيعة والمادّة يحكم على الإنسان، وكذٰلك ركّزت على أن ليس هناك غايةٌ متعاليةٌ للإنسان وراء عالم المادّة والفيزياء[1].

الأسباب التاريخيّة والفكريّة لتعارض العلم والدين

يطرح هنا سؤالٌ مهمٌّ وهو: ما هي الأسباب والجذور التاريخيّة والفكريّة لنظريّة التعارض بين العلم والدين في العالم الغربيّ؟ الجواب: هناك عدّة أسبابٍ ومناشئ لنظريّة التعارض بين العلم والدين نستعرضها بشكلٍ مختصرٍ:

1- تكمن جذور التعارض بين العلم والدين في تاريخ القرون الأخيرة، حينما قام روّاد الكنيسة بالطعن في نظريّة غاليله حول المنظومة الشمسيّة؛ إذ اعتقدوا بأنّ العلم المطلوب هو المتوفّر في الكتاب المقدّس فحسب، فيستأثرون بالعلم ولا يسمحون للعلماء بإبداع النظريّات العلميّة الجديدة، ويقومون بتكفير العلماء

(1) Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.296 .

والمفكّرين الّذين تخالف آراؤهم المعتقدات المسيحيّة المحرّفة.

من جهةٍ أخرى سبّبت العقيدة الخاطئة في الكتاب المقدّس – القائلة إنّ الشجرة الممنوعة في الجنّة الّتي مُنع آدم وحواء عليهما السلام من أكلها هي شجرة المعرفة والعلم! – فجوةً وشقاقًا عميقًا بين العلم والدين، فقد ورد في الإصحاح الثاني من "سفر التكوين":

«وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلٰهُ آدَمَ قَائِلًا: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا ۞ وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»[1].

2- انتشار التعاليم الخاطئة والمغايرة للعقل السليم والفطرة الإنسانيّة بين أتباع المسيحيّة كعقيدة التثليث، ومسألة الفداء، واتّهام الأنبياء العظام عليهم السلام بارتكاب القبائح والجرائم البشعة والمفاسد الأخلاقيّة، وهٰذا وإن كان يُعدّ من أهمّ أسباب التعارض بين العقل والدين، إلّا أنّ له تأثيرًا في تحقّق التعارض بين العلم والدين.

3- الانتشار الرهيب للنظريّات المادّيّة الفيزيائيّة، وتعدّد المدارس التجريبيّة الحسّيّة يطرح تساؤلاتٍ جديدةً أمام القضايا

(**1**) الكتاب المقدّس، سفر التكوين: **2**: **16** و**17**.

والمعارف الدينيّة، ويُوهم بعض الأحيان أنّ هناك تعارضًا بين التطوّرات العلميّة التجريبيّة الحديثة وبين القضايا الدينيّة.

4- التعارض الظاهريّ بين العلم والدين نابعٌ وناشئٌ من عدم التفات علماء الطبيعة إلى حدود العلم وثغوره ونواقصه ومحدوديّة إطاره. وإنّ حصر الواقع الخارجيّ في الواقع المادّيّ المحسوس، ونفي ما وراء المادّة والطبيعة يُعدّ تجاوزًا من قبل رجال العلم الطبيعيّ عن حدود علمهم التجريبيّ، وعدمَ معرفةٍ منهم بحدوده. من ناحيةٍ أخرى يعدّ التدخُّل غير الموضوعيّ من قبل بعض المتديّنين وأهل الديانات في الشؤون الّتي لا صلاحيّة ولا أهليّة لهم في أن يتدخّلوا فيها من العلوم التجريبيّة الحديثة من أسباب التعارض بين العلم والدين[1].

5- يتمسّك المنتمون إلى نظريّة التعارض بين العلم والدين بأدلّةٍ لإثبات هٰذا التعارض نستعرضها فيما يلي:

أدلّة أنصار التعارض

أ- يعتمد العلم على المعطيات التجريبيّة المتّخذة من الواقع العينيّ الملموس المسلّمة عند الجميع، بينما يعتمد الدين على الوحي

---

(1) كلشني، مهدي، من العلم العلمانيّ إلى العلم الدينيّ، ص 71.

الّذي هو أمرٌ إيمانيٌّ وإن كانت مقدّماته عقليّةً، ولٰكن يعتبره البعض تجربةً شخصيّةً غير مسلّمةٍ للآخرين. بعبارةٍ أخرى أنّ القضايا العلميّة تخضع للإثبات والاختبار والتقييم لمن يريد فهمها، ولٰكنّ القضايا الدينيّة تعتمد على الإيمان.

ب- أنّ موضوع الدين وغايته ومنهجه ولغته يختلف عن موضوع العلم وغايته ومنهجه ولغته تمامًا؛ لأنّ موضوع الدين هو الله، ولٰكنّ موضوع العلم هو عالم الطبيعة، غاية الدين هي التقرّب إلى الله تعالى، ولٰكنّ غاية العلم التعرّف على الطبيعة والاستفادة منها، منهج الدين هو الاعتماد على الوحي، ولٰكن منهج العلم هو التجربة والعقل. إنّ لغة الدين هي لغة الدعاء والمناجاة، ولٰكنّ لغة العلم هي التنبّؤ وكشف الأمور، فهناك تعارضٌ وتباينٌ بين العلم والدين.

ولا شكّ في أنّ هٰذه الأدلّة لدعم التعارض بين العلم والدين تعتمد على تعريفٍ خاصٍّ للدين الّذي يتجسّد في المسيحيّة المحرّفة والتجربة العرفانيّة الشخصيّة، ولٰكن بما أنّ أسباب التعارض بين العلم والدين وأرضيّاته لم تتحقّق في العالم الإسلاميّ وفي القرآن الكريم، فينتفي التعارض بانتفاء أسبابه، فليس هناك معلوماتٌ وقضايا قطعيّةٌ في العلوم الطبيعيّة تتعارض وتتنافى مع المعطيات الدينيّة القطعيّة؛ لأنّ الدين هو كتاب التشريع، و"الطبيعة" هي

كتاب التكوين، فلا تعارض بين الكتابين في الواقع؛ لأنّ كليهما من كاتبٍ ومؤلّفٍ واحدٍ وهو الله تعالى، ولهما غايةٌ واحدةٌ هي التقرّب والسير إلى الله تعالى: ﴿**أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾[1]. فإذا حصل التعارض الظاهريّ بين العلم والدين فهٰذا يرجع إلى معرفتنا الناقصة والقاصرة عن هٰذين الكتابين الإلٰهيّين[2].

يمكن هنا أن يطرح سؤالٌ وهو: كيف يمكن التوفيق والجمع بين أدلّة أتباع التعارض وبين شروط التعارض المذكورة سابقًا؟

الجواب هو: أنّ من شروط التعارض بين العلم والدين هو الاشتراك والاتّحاد في الموضوع والغاية والمنهج واللغة والتنافي في الحكم، بينما يركّز أتباع التعارض على أنّ نطاق الدين والعلم يختلف من حيث الموضوع والغاية والمنهج واللغة، فالنتيجة المنطقيّة هي أنّه لم يتحقّق تعارضٌ بين العلم والدين؛ لأنّ كلّ واحدٍ من الحقلين له ميزاته وخصائصه الخاصّة به، فلم تتحقّق شروط التعارض إذن؛ وبالتالي فلا تعارض بين العلم والدين.

(**1**) سورة الشورى: **53**.

(**2**) شيروانى، على، مباحثى در علم كلام جديد [بحوثٌ في الكلام الجديد]، ص **228**.

الدراسة النقديّة

هناك عدّة ملاحظاتٍ حول نظريّة التعارض بين العلم والدين نستعرضها في هٰذا المجال:

1- ينبغي التفكيك بين "العلم المطلوب" المطابق للواقع والكاشف عن الحقيقة، وبين "العلم الموجود" الّذي يمتزج فيه الحقّ والباطل، ويختلط فيه الصادق والكاذب. كذٰلك بالنسبة إلى الدين فيجب أن نفرّق بين المعرفة الدينيّة الحقيقيّة المطابقة للواقع، وبين المعرفة الدينيّة الموجودة في الكتب. نعم، هناك معايير وموازين لتمييز الحقّ عن الباطل في المعرفة الدينيّة والقضايا العلميّة، ولٰكنّ التمييز بين المستوى المطلوب والموجود في كلٍّ من العلم والدين ضروريٌّ ولازمٌ؛ فليس ثمّة تعارضٌ حقيقيٌّ بين العلم المطلوب والدين المطلوب الصحيح، ولٰكن يمكن أن يحدث هناك تعارضٌ بين العلم الموجود وبين المعرفة الدينيّة الموجودة بين أيدينا، وهٰذا التعارض يرجع إلى قصور فهمنا وعجزنا عن كشف الواقع الدينيّ أو الواقع العلميّ، لا إلى جوهر الدين والعلم.

2- ليس العلم في قبال الدين ومعاديًا له، بل إنّ هدف العلم كما يعتقد به كبار علماء الطبيعة والتجربة هو معرفة صنع الله - تعالى

- وكشف أسرار الكون وعجائب خلقته؛ لذا ليس العلم في عَرض الدين، بل العلم في طوله. بعبارةٍ أخرى فإنّ العلم والدين يتعاضدان ويكمّلان بعضهما البعض، بمعنى أنّ الدين والعلم ينشطان ويتعاملان في تكميل خريطةٍ واحدةٍ، وكلٌّ يكشف عن بُعدٍ من أبعاد العالَم، والعلم يبحث عن الكيفيّة، ولٰكنّ الدين يبحث عن العلل والأسباب والغايات[1].

3- أنّ كثيرًا من النظريّات الجديدة والاكتشافات الباهرة في العلوم الطبيعيّة وليدة "الإلهامات الإلٰهيّة" الّتي أفيضت على قلوب العلماء وانقدحت في أذهانهم. ولا شكّ في أنّ بعض الفرضيّات العلميّة والتقنيّات المتطوّرة هي في الحقيقة استنساخٌ من الصياغة الداخليّة لبدن الحيوانات وطبيعة النباتات، واستيحاءٌ من خلقة الإنسان العجيبة، فمخلوقات الله - تعالى - والعجائب المكنونة فيها سببٌ ومنشأٌ لكثيرٍ من العلوم الطبيعيّة الحديثة، والالتفات إلى هٰذه النقطة المهمّة يقوّي العلاقة بين الدين والعلم.

4- يعتمد العلم على بعض الفرضيّات المتافيزيقيّة والافتراضات

---

(1) گلشنی، مهدی، علم و دین و معنویت در آستانه‌ی قرن بیست و یکم [العلم والدين والمعنويّة في أعتاب القرن الحادي والعشرين]، ص **41** و**42**.

المسبقة الفلسفيّة الّتي لا مفرّ ولا مهرب منها كأصل العلّيّة، ونشير إليها فيما بعد بشكلٍ مفصّلٍ، فإذا كان هناك تعارضُ بين العلم والقضايا المتافيزيقيّة، فهل يمكن أن نقول إنّ العلم بُني على ما يعارضه ويصادمه؟! كلّا.

5- ليس هناك نظريّاتٌ قطعيّةٌ نهائيّةٌ غير قابلةٍ للنسخ والنقض في العلوم التجريبيّة؛ لأنّ العلم التجريبيّ متّكئٌ على الاستقراء المفيد للظنّ والتخمين، وقد تمّ إثبات هٰذا المدّعى في "فلسفة العلم". إلّا أن يُضمّ هٰذا الاستقراء الناقص إلى برهانٍ عقليٍّ صحيحٍ، فتكون القضايا العلميّة دائميّةً أو أكثريّةً.

6- يختلف حساب الدين الإسلاميّ النابع من مصدر الوحي السليم عن حساب الديانة المسيحيّة واليهودية المحرّفة، فهناك بونٌ بعيدٌ وشاسعٌ بين الديانتين. ومن يقارن بين القرآن الكريم وسائر الأديان بدون تعصّبٍ يرى بوضوحٍ أنّه ليس هناك في القرآن ما يعارض العلم والعقل الصحيح، بل القرآن يحثّ الناس ويشجّعهم على التفكّر في الطبيعة وأسرارها والتدبّر في آيات الله - تعالى - من الشمس والقمر والأرض والسماء والشجر والدوابّ والإنسان؛ لغرض التعرّف على عظمة الله - تعالى - وقدرته وحكمته وإتقان صنعه. بل

القرآن أخبر بحقائق قد اكتشفها العلم بعد مضيّ قرونٍ متتاليةٍ، وهٰذا يُعدّ خدمةً عظيمةً للعلم والعلماء.

تطبيقات تعارض العلم والدين في الرؤية الإسلاميّة

لا يخفى على الخبير أن لا تعارض بين القطعيّات والمسلّمات الدينيّة والعلميّة مطلقًا؛ لأنّ الدين والعلم القطعيّ نافذتان لكشف الحقائق الكونيّة، ولٰكن يحصل في بعض الأحيان التعارض بين فهم الإنسان وتفسيره للمعارف الدينيّة والقضايا العلميّة الّتي توصّل إليها البشر بأدواته الّتي تخطئ وتصيب.

هناك في العالَم الإسلاميّ بعض الاتّجاهات الفكريّة الحداثويّة الّتي تأثّرت بنظريّة التعارض بين العلم والدين في العالَم الغربيّ، وعلى إثر ذٰلك ادّعت التعارض بين بعض المعارف الإسلاميّة وبين المعطيات والمستجدّات العلميّة، علاوةً على وجود بعض الاتّجاهات الدينيّة مثل المدرسة السلفيّة الظاهريّة الّتي تعتمد بعض النصوص الدينيّة المزيّفة المدلّسة، وهي مخالفةٌ ومناقضةٌ للقطعيّات العلميّة الجديدة، وهٰذا يؤدّي بدوره إلى توهّم التعارض بين العلم والدين.

فينبغي هنا أن نستعرض نماذج ومصاديق من هٰذا التعارض المدّعى بين العلم والدين الإسلاميّ؛ لنرى هل هٰذا التعارض المزعوم تعارضٌ حقيقيٌّ أو تعارضٌ ظاهريٌّ يرتفع بمجرّد التأمّل والتدبّر العقليّ:

1- هناك في المدرسة السلفيّة النصّيّة موارد من التعارض بين النصوص الدينيّة الّتي يتبنّاها الفكر السلفيّ وبين المعطيات العلميّة الحديثة؛ وممّا ينبغي الإشارة إليه هو ما أفتى به السلفيّ المعاصر عبد العزيز بن بازٍ في كتابه (رسالة الأدلّة النقليّة والحسّيّة على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب)، فقد ذكر في هٰذا الكتاب أدلّةً من الآيات والروايات على سكون الأرض وجريان الشمس! بل وأفتى بأنّ كلّ من يعتقد بحركة الأرض وسكون الشمس فهو كافرٌ ضالٌّ مُضلٌّ يُستتاب، فإن تاب وإلّا قُتل كافرًا مرتدًّا.

قال ابن بازٍ في فتواه: «إنّ الأرض قارّةٌ ساكنةٌ قد أرساها الله بالجبال وجعلها أوتادًا لها، فمن زعم خلاف ذٰلك وقال إنّ الشمس ثابتةٌ لا جاريةٌ فقد كذّب الله وكذّب كتابه الكريم، وكلّ من قال هٰذا القول فقد قال كفرًا وضلالًا؛ لأنّه تكذيبٌ لله وتكذيبٌ للقرآن وتكذيبٌ للرسول ﷺ، وكلّ من كذّب الله أو كذّب كتابه الكريم أو كذّب رسوله الأمين ﷺ فهو كافرٌ ضالٌّ مضلٌّ يستتاب، فإن تاب وإلّا قُتل كافرًا مرتدًّا، ويكون ماله فيئًا لبيت مال المسلمين، كما نصّ على مثل هٰذا أهل العلم»[1].

---

(1) ابن بازٍ، عبد العزيز، رسالة الأدلّة النقليّة والحسّيّة على جريان الشمس كون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب، ص **23**.

ولا إشكال في أنّ السلفيّ ابن بازٍ هٰذا قد قال شيئًا نُكرًا! فإنّه كفّر وضلّل جميع عقلاء العالم بسبب إنكاره حركة الأرض، وأفتى بقتلهم إن لم يتراجعوا عن عقيدتهم! وما هٰذا إلّا واحدٌ من نتائج التركيز المفرط على النقل، وإقصاء العقل من ساحة المعرفة الدينيّة.

لا يخفى أنّ الروايات المعتمدة عليها عند الفكر السلفيّ الدالّة على سكون الأرض تخالف القرآن الكريم؛ لأنّ هناك آياتٍ عديدةً تشير إلى حركة الأرض كقوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا في مَناكِبِها**﴾[2]. مع أنّ فتوى السلفيّة حول سكون الأرض مغايرةٌ للقطعيّات العلميّة التجريبيّة. فلا تعارض بين المعطيات العلميّة والمعارف الدينيّة حول حركة الأرض؛ لأنّ أحد طَرَفي التعارض المدّعى - وهو النظريّة العلميّة - أمرٌ قطعيٌّ ومسلّمٌ، ولٰكنّ الطرف الآخر وهو الروايات الدالّة على سكون الأرض رواياتٌ ضعيفةٌ مدلّسةٌ مغايرةٌ للقرآن الكريم.

2- تدّعي بعض الاتّجاهات الحداثويّة المتأثّرة بالفكر الفلسفة

---

(1) سورة النمل: **88**.

(2) سورة الملك: **15**.

الغربيّة نوعًا من التعارض بين الآيات القرآنيّة وبين العلوم الجديدة الإنسانيّة والطبيعيّة، منها: ادّعاء التعارض في الآية المباركة: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون**﴾[1]. بناءً على ظاهر الآية المباركة أنّ القصاص يمنع من تكرار ارتكاب الجريمة والظلم في المجتمع. ولٰكنّ هٰذا الأمر مخالفٌ لما يدّعيه "علم الاجتماع الجنائيّ" من أنّ القصاص ومكافأة المجرمين لا يمنع ولا يردع عن تكرار ارتكاب الجرائم في المجتمع، بل هناك نوعٌ من التجسّر في اقترافها. فتحقّق هنا نوعٌ من التعارض بين العلوم الإنسانيّة والقضايا الدينيّة[2].

لا يخفى أنّ حكم القصاص لا يوجب الحياة في المجتمعات الّتي لا يُطبَّق حكمُ القصاص فيها، ولٰكنّ المجتمع الّذي يلتزم عمليًّا بتطبيق هٰذا الحكم من دون مراعاةٍ ومجاملةٍ، فلهٰذا الحكم تأثيرٌ بليغٌ في الحياة البشريّة. ينبغي هنا أن نستشهد بكلام الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام حول حكمة القصاص وغايته:

---

(1) سورة البقرة: **179**.

(2) ملكيان، مصطفى، مقالة: بررسى گونه‌هاى تعارض بين علم و دين [دراسة أنواع التعارض بين العلم والدين]، مجلّهٔ مصباح، عدد **10**، ص **77**.

«عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ**﴾ - الْآيَةَ - وَلَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ؛ لِأَنَّ مَنْ هَمَّ بِالْقَتْلِ فَعَرَفَ أَنَّهُ يُقْتَصُّ مِنْهُ فَكَفَّ لِذٰلِكَ عَنِ الْقَتْلِ كَانَ حَياةً لِلَّذِي هَمَّ بِقَتْلِهِ، وَحَيَاةً لِهٰذَا الجافي [الْجَانِي] الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ، وَحَيَاةً لِغَيْرِهِمَا مِنَ النَّاسِ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ الْقِصَاصَ وَاجِبٌ، لَا يَجْسُرُونَ عَلَى الْقَتْلِ مَخَافَةَ الْقِصَاصِ. يا أُولِي الْأَلْبابِ: أُوْلِي الْعُقُولِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»[1]. إذن لا تعارض بين المعطيات العلميّة وبين الآية الكريمة في موضوع القصاص.

3- من الموارد الّتي توهّم التعارض فيه بين العلم والدين هو قوله تعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ**﴾[2]. فقد زعم بعض المتخصّصين في علم الطبّ أنّ هٰذه الآية الكريمة تُعارض المعطيات الطبّيّة الجديدة؛ لأنّ المراد من "الصُّلب" في الآية الكريمة هو ظهر الرجل والمقصود من "الترائب" صدر المرأة، وبناءً على هٰذا التفسير يرى بعض المتخصّصين من الأطبّاء أنّ المستجدّات العلميّة الطبّيّة ترفض هٰذا الرأي؛ فهناك تعارضٌ بين العلم والدين!

(**1**) الطبرسيّ، أبو منصورٍ، الاحتجاج، ج **2**، ص **319**.

(**2**) سورة الطارق: **5** - **7**.

منشأ التعارض في هٰذه الآية الكريمة هو التفسير الخاطئ منها وترتيب الأثر عليها، ولٰكن مَن يُمعن النظر في الآية الكريمة يجد أنّ المراد من الماء الدافق الّذي يخرج من بين الصُّلب والترائب هو منيّ الرجل؛ لأنّ مفردة "الدافق" بمعنى المدفوق بمعنى «هو دفْع الشَّيء قُدُمًا»[1]، فخروج الماء بالدفعة والسرعة هو الدافق، وهٰذا ينطبق على نطفة الرجل. فبما أنّ الماء الّذي يخرج من المرأة ليس بدافقٍ فالآية مختصّةٌ بالرجل. والمقصود الصلب في اللغة هو «الشدّة والقوّة، فالصُّلب وهو الشيء الشَّديد. وكذٰلك سُمِّيَ الظَّهر صُلْبًا لقوّته»[2]. والمراد من الترائب «تساوي الشيئين... والتريب الصدر عند تساوي رؤوس العظام»[3]. فالترائب عظامٌ متساوية الأطراف ومترادفة التركيب في هيكل الإنسان، «وهي عظامٌ بين الثديين والرجلين والعينين»[4].

فالآية الكريمة تتحدّث عن الماء الدافق - وهو المنيّ - الّذي يخرج من صلب الرجل وترائبه وعظام صدره، وأصبح تفسير الآية: «إنّ الماء الدافق الّذي هو ماء الرجل (أي المنيّ) يخرج من صلب الرجل وترائبه

---

(1) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 286.

(2) المصدر السابق، ج 3، ص 301.

(3) المصدر السابق، ج 1، ص 347.

(4) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 369.

(أي أصول أرجله)؛ لأنّ معظم الأمكنة والممرّات الّتي يخرج منها السائل المنويّ تقع من الناحية التشريحيّة بين الصلب والترائب»[1].

فلا تعارض بين مضمون الآية الكريمة في سورة الطارق وبين المعطيات العلميّة الحديثة، بل هي تؤيّد الآية المباركة وهي من الإعجاز العمليّ للقرآن الكريم.

4- يعتقد بعض الحداثيّين أنّ الآيات الدالّة على خلقة آدم وحوّاء عليهما السلام - كأبوين للإنسان الموجود على وجه الأرض - من التُّراب أو الطين، تعارض نظرية "داروين" وتخالفها؛ لأنّ الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[2]، ﴿**وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾[3]، تدلّ على أنّ الله - تعالى - خلق آدم عليه السلام مباشرةً من التراب والطين خلقةً مستقلّةً من دون توسّط موجودٍ حيٍّ. وتصرّح الآيات القرآنيّة أيضًا أنّ الإنسان الموجود الآن على وجه الأرض من نسل آدم وزوجته حوّاء عليهما السلام: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ**

(**1**) معرفت، محمدهادي، التمهيد في علوم القرآن، ج **6**، ص **67**.

(**2**) سورة آل عمران: **59**.

(**3**) سورة الحجر: **28**.

مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثيرًا وَنِساءً﴾[1].
بينما تدلّ نظريّة داروين على أنّ الإنسان الأوّليّ لم يُخلق من التراب والطين مباشرةً، بل خُلِق من موجودٍ حيٍّ مسبوقٍ عليه، ثمّ تكامل تدريجًا فصار بهٰذا الشكل الموجود[2].

ولسنا هنا بصدد نقد نظريّة داروين، فهٰذا بحاجةٍ إلى تأليفٍ على حدةٍ، ولٰكنّ الجدير بالذكر هنا بشكلٍ موجزٍ ما يلي:

أوّلًا: لا تنافي ولا تعارض بين نظريّة داروين وإثبات وجود الله تعالى.

ثانيًا: لا تنافي بين نظريّة داروين وبين أشرفيّة الإنسان، وأنّه أشرف المخلوقات؛ لأنّ شرافة الإنسان بروحه الإلٰهيّ وليس ببدنه وجسمه.

ثالثًا: أنّ القول بتطوّر الأنواع (نظريّة داروين) فرضيّةٌ حدسيّةٌ تبتني عليها العلوم الطبيعيّة اليوم، ومن الممكن أن يتغيّر يومًا إلى خلافها بتقدّم العلوم وتوسّع الأبحاث[3].

(**1**) سورة النساء: **1**.

(**2**) الشريف، عدنان، من علوم الأرض القرآنيّة، ص **207**.

(**3**) الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج **16**، ص **259**.

5- يعتقد بعض الحداثيّين بأنّ مراحل تكوّن الجنين وتكامله في القرآن الكريم تُعارض المشاهدات العلميّة الحديثة في علم الأحياء (Biology)؛ لأنّ علم الأحياء الجديد يرى بأنّ الجنين في رحم أمّه كان في بداية خلقته قطعةً لحميّةً، ثمّ تكاثف قسمٌ منها وجذب الكالسيوم، ثمّ نَمت العظام فيها تدريجًا وهٰذا خلاف رأي القرآن الّذي يصرّح بأنّ مرتبة تكوّن العظام متقدّمة على مرحلة نشوء اللحم، يقول القرآن: ﴿**فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا**﴾[1]، فهناك تعارضٌ بين القرآن الكريم والعلوم الجديدة في مراحل تكوّن الجنين[2].

نشأ هٰذا التعارض من عدم الالتفات إلى المراحل السابقة المذكورة من مرحلة كساء اللحم وهو قوله: ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظامًا فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقًا آخَرَ**﴾[3]، لا يخفى أنّ مرحلة "المضغة" - وهي قطعةُ لحمٍ، كالقطعة الّتي تُؤخذ فتُمضغ[4] - متقدّمةٌ على مرحلة

---

(1) سورة المؤمنون: **14**.

(2) ملكيان، مصطفى، مقالة: بررسی گونه‌های تعارض بین علم و دین [دراسة أنواع التعارض بين العلم والدين]، مجلّة مصباح، عدد **10**، **65**.

(3) سورة المؤمنون: **14**.

(4) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج **5**، ص **330**.

كساء العظام، وبهٰذا يزول التعارض الظاهريّ بين المعطيات العلميّة وبين مراحل تطوّر الجنين في الآية الكريمة. بل هٰذه الآية مع فقدان جهاز "السونار" في صدر الإسلام، وتُعدّ من الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم.

6- كذٰلك يعتقد بعض المنتمين إلى التيّار الحداثويّ بأنّ قانون الزوجيّة الّذي يشير إليه القرآن معارضٌ لعلم الأحياء؛ لأنّ قول الله تعالى: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ**﴾[1] يدلّ على أنّ لكلّ موجودٍ زوجين من جنس المذكر والمؤنّث، ولٰكن يرى علمُ الأحياء خلاف ذٰلك، بل يقول إنّ هناك موجوداتٍ في الكون ليس لها زوجان ذكرٌ وأنثى، بل هي من سنخٍ وجنسٍ واحدٍ[2].

لا يخفى أنّ "الزوج" في اللغة بمعنى "مقارنَة شيءٍ لشيءٍ[3] وهٰذا زوجه أي قرينه[4]، فالزوجيّة أعمّ من الذكر والأنثى، بل بمعنى مطلق

(**1**) سورة الذاريات: **49**.

(**2**) ملكيان، مصطفى، مقالة: بررسى گونه‌هاى تعارض بين علم و دين [دراسة أنواع التعارض بين العلم والدين]، مجلّة مصباح، عدد **10**، ص **66**.

(**3**) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج **3**، ص **35**.

(**4**) الزمخشريّ، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ج **1**، ص **204**.

المقارنة والمشابهة بين الشيئين. فقانون الزوجيّة العامّة في الطبيعة بمعنى أنّ كلّ شيءٍ له قرينٌ ومشابهٌ فلا تنحصر الزوجيّة في جنس المذكّر والمؤنّث.

7- من الموارد الّتي يُدّعى أنّها من مصاديق التعارض في القرآن الكريم موضوع "السماوات السّبع"، يقول القرآن الكريم: ﴿**اللهُ الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقًا**﴾[3].

يدّعي القائلون بالتعارض أنّ مسألة السماوات السبع في النصوص الدينيّة تنطبق على نظريّة "الهيئة البطليموسيّة" الّتي تعتقد بالأفلاك السبعة، وهٰذا مغايرٌ ومعارض لنظريّة "كوبرنيكوس" الّتي تُبطِل النظريّة البطليموسيّة، فصار هناك تعارضٌ بين القضايا الدينيّة والمستجدّات العلميّة[4].

---

(1) سورة الطلاق: **12**.

(2) سورة المؤمنون: **17**.

(3) سورة الملك: **3**.

(4) ملكيان، مصطفى، مقالة: بررسى گونه‌هاى تعارض بين علم و دين [دراسة أنواع التعارض بين العلم والدين]، مجلّه‌ى مصباح، عدد **10**، ص **66**.

هناك عدّة نقاطٍ في رفع هٰذا التعارض الظاهريّ وهي:

أ- أنّ الأفلاك في الهيئة البطليموسيّة تسعةٌ وليست بسبعةٍ، فلا يمكن تطبيق السماوات السبع عليها. مع أنّ تفسير "السماء" بالأفلاك خلافٌ لمعنى السماء في اللغة.

ب- أنّ لفظ "السماء" في اللغة ليس بمعنى الأفلاك، بل السماء بمعنى "العلوّ"، والعرب تُسمِّي السحاب سماءً، والمطرَ سماءً، وسقف البيت سماءً. وكلُّ عالٍ مطلٍّ سماءً، حتَّى يقال لظهر الفرس سَماء[1].

إذا أمعنّا النظر في موارد استعمال "السماء" في القرآن الكريم، نجد أنّ لمفردة السماء بصورةٍ عامّةٍ معنيين رئيسيّين:

<u>الأوّل</u>: السماء المادّيّة المحسوسة الّتي هي بمعنى جهة العلوّ ومحلّ الكواكب والنجوم، وهٰذا يتوافق مع المعنى اللغويّ.

<u>الثاني</u>: السماء المعنويّة وغير المحسوسة وهي مقام القرب الّذي تنتهي إليه أزمّة الأمور دون السماء بمعنى جهة العلوّ أو ناحيةٍ من نواحي العالم الجسمانيّ. السماء بمعناها المعنويّ هو مقام الحضور الّذي يصدر منه تدبير الأمر أو أنّ موطن تدبير الأمر الأرضيّ هو

---

(1) ابن فارسٍ، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج **3**، ص **98**.

السماء[1]؛ كقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[2]. إذن لفظ السماء في القرآن مشتركٌ لفظيٌّ بين عدّة معانٍ فلا يمكن تطبيقه على معنًى خاصٍّ إلّا في ضوء قرائن معيِّنةٍ.

ج - أنّ العلم لم يكتشف إلّا سماءً واحدةً والقرآن الكريم يخبرنا عن السماوات السبع، ولا ينفي العلم سائر السماوات، بل يسكت عنها ويمكن أن يكتشفها في المستقبل، وليس هٰذا تعارضٌ بين العلم والدين.

8- من الموارد الّتي يدّعى فيه التعارض بين العلم والدين هٰذه الآية المباركة: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[4].

---

(1) الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص 248

(2) سورة الذاريات: 5.

(3) سورة الحجر: 16 - 18.

(4) سورة الصافّات: 6 - 9.

ظاهر الآية المباركة أنّ هناك أفلاكًا محيطةً بالأرض تسكنها جماعات الملائكة، ولها أبوابٌ لا يلج فيها شيءٌ إلّا منها، وأنّ في السماء الأولى جمعًا من الملائكة بأيديهم الشهب يرصدون المسترقين للسمع من الشياطين فيقذفونهم بالشهب. وقد أبطل العلم الجديد هٰذه الآراء؛ لأنّ الإنسان اليوم اجتاز جوّ الأرض ووصل إلى القمر، وأنّ الشهب مختصّةٌ بسماء الأرض، من جهةٍ أخرى أنّ الشياطين ليسوا بمحسوسين ولا مرئيّين، فكيف يمكن أن يُقذفوا ويُستهدفوا بالشهاب الثاقب المحسوس؟!

اختلفت آراء المفسّرين في تفسير هٰذه الآية الكريمة؛ فقد ركّز بعضهم على الأخذ بظاهرها من دون تأويلٍ، وقد قال الآخرون إنّ الآية الشريفة من قبيل الأمثال المضروبة تُصوّر بها الحقائق الخارجة عن الحسّ في صورة المحسوس لتقريبها من الحسّ، وهو كثيرٌ في كلامه تعالى، ومنه العرش والكرسيّ واللوح والكتاب[1].

الجدير بالذكر هو: أنّ العلوم الجديدة الفلكيّة وعلم النجوم الحديث يبيّن ويشرح حقيقة الشهاب ومنشأ تكوّنه وكيفيّة حركته، ولٰكن يسكت عن تبيين علاقته بالأمور الغيبيّة والميتافيزيقيّة،

(**1**) الطباطبائيّ، محمّدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج **17**، ص **125**.

ويمكن أنّ هناك علاقةً وثيقةً بين الأمور المادّيّة المحسوسة كالشهاب والأجرام المضيئة وبين الشياطين والموجودات الغيبية تعجز العلوم عن تفسيرها وتبيينها، ويمكن أن يكتشف بعض أسرارها في المستقبل، ولٰكن لا يحقّ للعلم الجديد أن ينكر هٰذه العلاقة، كما لا يمكن أن له ينكر علاقة الروح المجرّد بالبدن المادّيّ[1].

ب- تمايز العلم والدين

كان بحثنا حول النظريّات المطروحة حول نسبة العلم والدين بشكلٍ عامٍّ، فقد بيّنّا النظريّة الأولى في هٰذا المجال، وهي نظريّة التعارض بين العلم والدين.

النظريّة الثانية المطروحة في الأوساط العلميّة هي نظريّة "التمايز بين العلم والدين". بناءً على هٰذه النظريّة فإنّ كلّ واحدٍ من العلم والدين يتعلّق بنطاقٍ مستقلٍّ (Independence) على حدةٍ، من دون أن يتدخّل أحدهما في شأن الآخر. وفي الحقيقة نظريّة التمايز بين العلم والدين محاولةٌ لرفع التعارض بين العلم والدين وحصر كلّ واحدٍ منهما بإطاره الخاصّ. ويستدلّ أتباع هٰذه النظريّة على هٰذا المدّعى

---

(1) انظر: پرسش‌هاى قرآنى جوانان [الأسئلة القرآنيّة للشباب]، ج 10، ص 69.

بتمايز الموضوع والغاية والمنهج بين العلم والدين؛ فإذا كان لكلّ واحدٍ من العلم والدين نطاقٌ وإطارٌ محدّدٌ ومسؤوليّةٌ ومهمّةٌ معيّنةٌ فلا يتحقّق التعارض بين الحقلين. ومن مناصري هٰذه النظريّة: المدرسة الأرثوذكسيّة الحديثة، والمدرسة الوجوديّة، والمدرسة الوضعيّة، والفلسفة التحليليّة؛ فنشير إلى هٰذه المدارس إشارةً عابرةً:

ترى الأرثوذكسيّة الحديثة أنّ التمايز بين العلم والدين يتجسّد في التمايز والافتراق بين موضوعهما وغايتهما ومنهجهما؛ لأنّ موضوع الدين والإلٰهيّات هو تجلّي الله - تعالى - في المسيح، ولٰكن موضوع العلم هو عالَم الطبيعة.

كذٰلك من ناحية المنهج هناك تغايرٌ وتمايزٌ بين العلم والدين؛ لأنّ المنهج المتّبع في الدين هو "التجلّي والكشف الباطنيّ"، ولٰكنّ المنهج الشائع في العلوم الطبيعيّة هو المنهج الحسّيّ التجريبيّ عبر الملاحظات والاختبارات.

ومن جهة الغاية أيضًا هناك تنافٍ وتغايرٌ بين غاية الدين، وهي إعداد الإنسان وتهيئته لمواجة الأمر القدسيّ، وبين غاية العلم وهي كشف العلاقة السببيّة والعلّيّة بين الأشياء والظواهر الطبيعيّة وتبيينها، فالعلم بصدد اكتشاف القوانين السائدة في عالَم الطبيعة وتوصيفها.

المدرسة الوجوديّة (Existentialism) تركّز على تمايز العلم والدين بشكلٍ آخر، إذ يعتقد كير كيجارد (Søren Kierkegaard) (1855-1813) - وهو من روّاد المدرسة الوجوديّة - بأنّ المعرفة العلميّة هي معرفةٌ عينيّةٌ عامّةٌ غير فرديّةٍ، بخلاف المعرفة الدينيّة الّتي معرفةٌ ذهنيّةٌ فرديّةٌ. يمكن إرجاع هٰذا التمايز بين العلم والدين إلى التمايز المنهجيّ بينهما. كما يرى التيّار الوجوديّ أنّ موضوع العلم هو الأشياء المادّيّة المحسوسة، ولٰكنّ موضوع الدين هو الحقائق الأخلاقيّة والفرديّة، وهٰذا التمايز الموضوعيّ بينهما.

كذٰلك يرى كارل بوبر (Karl Popper) (1878-1965) أنّ علاقة الشخص والشيء المادّيّ هي من باب علاقة "أنا - هو"، ولٰكنّ علاقة المؤمن بالله - تعالى - هي من سنخ علاقة "أنا - أنت". بعبارةٍ أخرى أنّ علاقة المؤمن بالله مقرونةٌ بالحبّ والعواطف والأحاسيس، وهٰذا بخلاف العلاقة بين العالم التجريبيّ والشيء المادّيّ الّتي هي فارغةٌ من أيّ عواطف وعشقٍ وحبٍّ.

كذٰلك المدرسة الوضعيّة (Positivism) تركّز على الفصل بين العلم والدين؛ لأنّ القضايا العلميّة تخضع للاختبار والتقييم التجريبيّ، فلها العينيّة وقابليّة الإثبات للآخرين. بخلاف المعتقدات

والقضايا الدينيّة الّتي لا تخضع للمعايير التجريبيّة والاختبارات العلميّة، فهي ليست معرفةً عينيّةً ملموسةً قابلةً للإثبات لكلّ الناس، وهٰذا هو التمايز المنهجيّ بين العلم والدين.

وكذا مدرسة الفلسفة التحليليّة (Analytic Philosophy) والمدافعون عنها مثل ويتغنشتاين (1889-1951) يفصلون بين نطاق الدين والعلم؛ بسبب اختلاف لغة الدين ولغة العلم، بمعنى أنّ لغة الدين لا تكشف عن الواقع التجريبيّ المحسوس، فهي فارغةٌ من المعنى، خلافًا للغة العلم الّتي تزيح الستار عن الواقع المحسوس الملموس، وتمنح معنًى محصَّلًا للإنسان[1]. ويعتقد ويتغنشتاين بأنّ اللغات تختلف باختلاف موارد استعمالها ومناحي الحياة، فلكلّ منحًى من مناحي الحياة "لعبةٌ لغويّةٌ"[2] خاصّةٌ. وبما أنّ موارد الاستعمالات

(1) Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.298 .

(2) يعتقد لودويج ويتغنشتاين (**1889- 1951**) بأنّ لكلّ لغةٍ تطبيقًا واستعمالًا متميّزًا وفق مناحي الحياة والسياق الاجتماعيّ والمناخ الفكريّ والثقافيّ، الّذي يعيش فيه كلّ إنسانٍ ويعبّر ويتغنشتاين عن تطبيق اللغة واستعمالها بـ"اللعبة اللغويّة". فتتعدّد اللغات بتعدّد مناحي الحياة وأشكالها وسياقاتها. بعبارةٍ أخرى أنّ كلّ منحًى من مناحي الحياة أو كلّ شَكلٍ من أشكال الحياة والمعيشة يقتضى لغةً متميّزةً خاصّةً به لا

والأغراض تختلف في الدين والعلم، فلكلّ واحدٍ منهما لغةٌ تخصّه. وقد تأثّرت نظريّة ويتغنشتاين بالمدرسة الوضعيّة التجريبيّة أشدّ التأثّر. في الحقيقة تؤكّد الفلسفة التحليليّة على التمايز اللغويّ بين العلم والدين.

ومن الاتّجاهات الّتي تركّز على التمايز بين العلم والدين نظريّة "إلٰه الفجوات" (God of the gaps) الّتي تعتقد بأنّ الدين ينفع ويفيد حيث لا فائدة ولا نفع للعلم فيه، بعبارةٍ أخرى نقول إنّ الدين يلعب دوره في الفجوة الّتي يعجز ويقصر العلم أن يملأ فراغها ويبرّر قضاياها. فالعلم له نطاقٌ محدّدٌ ومؤثّرٌ، فإذا عجز العلم عن التبيين والإثبات يأتي دور الدين ليملأ الفراغ الّذي لم يملأه العلم ولم يسدّه. وهٰذا هو التمايز الموضوعيّ بين العلم والدين.

النتيجة: أنّ الاتّجاهات والمدارس الفكريّة الّتي تتبنّى التمايز

يعرفها إلّا من يعيش في ذٰلك النمط والطريقة من الحياة، والمقصود من الحياة هو جميع الآمال والأفكار والظروف الّتي تحيط الفرد الإنسانيّ. فلكلّ لغةٍ من اللغات الدينيّة والعلميّة والفلسفيّة "لعبةٌ لغويّةٌ" خاصّةٌ بها. هٰذه الألعاب اللغويّة تكشف عن جوانب صُور الحياة وأشكالها. [انظر: Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.272]

بين نطاق الدين والعلم، تارةً تركّز على التمايز من جميع الجهات، وهو التمايز في الموضوع والغاية والمنهج واللغة. وتارةً أخرى تؤكّد على جهةٍ خاصّةٍ من التمايز فحسب كالتمايز المنهجيّ أو اللغويّ أو الموضوعيّ.

الدراسة النقديّة

ذكرنا أنّ هناك أربع مدارس فكريّةٍ تنتمي إلى نظريّة "التمايز بين العلم والدين" وهي عبارةٌ عن: المدرسة الأرثوذكسيّة الحديثة، والمدرسة الوجوديّة، والمدرسة الوضعيّة، والفلسفة التحليليّة؛ كلّ واحدٍ من هٰذه المدارس تعاني من إشكاليّاتٍ عديدةٍ لا نتطرّق إليها، ولٰكن هناك عدّة إشكالاتٍ وملاحظاتٍ عامّةٍ تعاني منها نظريّة التمايز بين العلم والدين نشير إليها فيما يلي:

1- الفهم الخاطئ عن "الدين" وحصر نطاقه في العلاقة الفرديّة بالله وفي التجلّيات الباطنيّة والتجربة العرفانيّة يُعدّ الخلل الرئيسيّ في هٰذه النظريّة. فالدين الّذي يتجسّد في الكتب السماويّة والأديان التوحيديّة كالإسلام الحنيف لا تقتصر تعاليمه ومعارفه في الدعاء والمناجاة الفرديّة مع الله تعالى، وإن كان الدعاء مخّ العبادة، ولٰكن تشتمل التعاليم الإسلاميّة على كلّ الجوانب الفرديّة والاجتماعيّة

والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة والقانونيّة في الحياة البشريّة. فالمفروض الخاطئ في بيان الأرثوذكسيّة الحديثة والفلسفة الوجوديّة هو تحويل الدين إلى تجربةٍ عرفانيّةٍ فرديّةٍ. بعبارةٍ أخرى عُدَّ الدين تجربةً دينيّةً فرديّةً غايتها مواجهة الأمر القدسيّ رؤيةً مسيحيّةً محضةً إلى الدين طرحها المفكّرون لحلّ التعارض بين العلم والدين في العالَم المسيحيّ؛ ولأجل إحياء الديانة المسيحيّة وإنقاذها من هٰذه الورطة، لا يمكن إعمامها على الديانة الإسلامية.

2- طُرحت نظريّة التمايز والتفريق بين نطاق العلم والدين لغرض رفع التعارض بينهما، وأنّ كلّ واحدٍ من العلم والدين له نطاقه وموضوعه ومنهجه وغايته ولغته الخاصّة به، ولا يتدخّل أحدهما في شؤون الآخر، ولٰكن:

أوّلًا: لا يوجد تعارضٌ حقيقيٌّ بين العلم والدين كما سنبيّن في النظريّة المختارة.

ثانيًا: مع ثبوت التعارض الظاهريّ بينهما، فليس طريق رفع التعارض هو التفكيك والتفريق التامّ بين نطاقي العلم والدين، بل هناك حلولٌ وطرقٌ أخرى لمعالجة التعارض البدويّ نتطرّق إليها في مبحث "علاج التعارض بين العلم والدين".

ثالثًا: المدرسة الوضعيّة والفلسفة التحليليّة من ناحية نظريّة المعرفة تعتمد على مصدر الحسّ والتجربة الحسّيّة، ونفي سائر المصادر المعرفيّة من العقل البرهانيّ والوحي، وهٰذا باطلٌ وغير صائبٍ كما تمّ إثباته في "نظريّة المعرفة".

3- القول بتمايز العلم والدين وانفصال نطاقهما يؤدّي في آخر المطاف إلى نفي الدين وعزله عن ساحة حياة البشر؛ لأنّ الدين بهٰذا المعنى الفرديّ لا علاقة له بواقع الحياة، ولا يلعب دورًا في رفع متطلّبات الإنسان[1]. وهٰذا يستلزم العلمانيّة (Secularism) الّتي لا تتواءم مع الواقعيّات الموجودة في الأديان التوحيديّة، وخاصّةً الدين الإسلاميّ.

4- عندما نراجع الأديان التوحيديّة كدين الإسلام نرى أنّها تتضمّن شطرًا من القضايا العلميّة الّتي تخبر عن الواقع الطبيعيّ، وتكشف عن أسراره ورموزه، ويرشد العالِم إلى البحث والتفتيش عن أسرار عالَم الطبيعة، وهٰذا يعدّ خدمةً عظيمةً للعلم. من جهةٍ أخرى فإنّ العلوم الطبيعيّة تفتح آفاقًا جديدةً أمام الدين والمتديّنين

(**1**) Trigg, Roger, Rationality and Religion, p. 71.

يمكن الاستفادة منها في ترسيخ المعتقدات الدينيّة؛ فهناك نوعٌ من التعامل والتعاطى بين العلم والدين يتمثّل في الخدمات المتبادلة بينهما نستعرضها في الأبحاث التالية.

ج - تداخل العلم والدين

تعتقد هٰذه النظريّة بأنّ الدين يتضمّن القضايا العلميّة في داخله؛ فالقضايا العلميّة داخلةٌ في نطاق الدين، وتعدّ من جملة القضايا الدينيّة. بناءً على نظريّة التداخل فإنّ النسبة بين الدين والعلم هي "عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ"، بمعنى أنّ الدين أعمّ وأشمل من العلم، والدين يتضمّن العلمَ ويشتمل عليه.

أدرجت الديانة المسيحيّة في القرون الوسطى القوانينَ العلميّةَ برمّتها في إطار الدين، واعتبرتها جزءًا من الدين، ولم تكن تسمح لأحدٍ من العلماء المفكّرين بأن يبدي رأيًا أو نظريّةً تخالف الآراء العلميّة المذكورة في الكتاب المقدّس، وإلّا قامت الكنيسة بتكفيره وحكمت بارتداده عن الدين.

لقد كان الفكر الشائع في القرون الوسطى هو "الإيمانيّة"، وهي تركّز على أنه مُنِح الوحي للإنسان ليحلّ بدلًا عن جميع العلوم والمعارف البشريّة من العلوم التجريبيّة والأخلاق والمتافيزيقيا

وغيرها، فالوحي يغني الإنسان عن جميع العلوم. يعتقد هٰذا الاتّجاه المفرِط بأنّ الله - تعالى - أوحى إلى الإنسان ما يحتاج إليه، فلا يحتاج إلى التفكّر، بل يجب أن يصرف همّه لتحصيل السعادة. فكلّ ما له دورٌ وأهمّيّةٌ في تحقيق سعادة الإنسان موجودٌ في الكتاب المقدّس. فللكتاب المقدّس مرجعيّةٌ شاملةٌ ومركزيّةٌ مطلقةٌ وينبغي الرجوع إليه في كلّ شيءٍ، يقول ترتليان (Tertullianus): «أنا أؤمن لأنّ الإيمان فارغٌ من أيّ معنًى. فلا شيء بعد الإيمان الدينيّ حتّى نعتقد به»[1].

وفي العالَم الإسلاميّ ينتمي أبو حامدٍ الغزاليّ إلى نظريّة التداخل بين العلم والدين؛ فإنّه يعتقد بأنّ القرآن هو البحر المحيط ومنه يتشعّب علم الأوّلين والآخرين، وفيه مجامع علم الأوّلين والآخرين. ويصرّح الغزاليّ بأنّ جميع العلوم البشريّة كالطبّ والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وغيرها ممّا اندرست أو سيكشفها الإنسان ليست خارجةً عن القرآن؛ فإنّ جميعها مغترفةٌ من بحرٍ واحدٍ من بحار معرفة الله تعالى[2].

---

(1) Etienne Gilson, "Reason And Revelation In The Middle Ages, New York, 1939, p.18.

(2) الغزاليّ، محمّد، جواهر القرآن، ج 1، ص 45.

كذٰلك يتبنّى بعض المفكّرين المعاصرين نظريّة التداخل بين العلم والدين، ويعتقد أنّ المقصود من "العقل" أعمّ من العقل التجريبيّ الاستقرائيّ والعقل التجريديّ البرهانيّ الّذي يؤدّي دوره في الإلٰهيّات والفلسفة، فالعقل بهٰذا المعنى الواسع ليس مصدرًا معرفيًّا مستقلًّا في مقابل الدين وخارجًا عن نطاقه، بل العقل في قبال النقل، وليس في مقابل الدين.

بعبارةٍ أخرى فإنّ العقل والنقل وجهان لحقيقةٍ واحدةٍ ومصدران لكشف إرادة الله تعالى، وهما جناحان لفهم الدين. فكما أنّ حكم النقل الصحيح حجّةٌ شرعيّةٌ معتبرةٌ يحتجّ به الله - تعالى - يوم القيامة، فكذٰلك حكم العقل القطعيّ التجريبيّ والتجريديّ حجّةٌ شرعيّةٌ معتبرةٌ، سواءٌ كان من أحكام العقل النظريّ أو كان من أحكام العقل العمليّ. «على سبيل المثال إن وجب بحكم العقل العمليّ ووفق رؤية مهندسٍ خبيرٍ استخدام الآلات والتقنيّات الزراعيّة لأجل استقلال البلد زراعيًّا، واستلزم الأمر أيضًا بناء سدٍّ إسمنتيٍّ لأجل تخزين المياه للغرض المذكور، بيد أنّ بعض الأفراد خالفوا ذٰلك عمدًا بأن أقاموا سدًّا ترابيًّا بدل الإسمنتيّ، وصرفوا من بيت المال لأجل ذٰلك، فعلى محكمة العدل الإسلاميّة أن تقاضيهم وتشجب فعلهم،

كما ينال مثل هٰؤلاء الأفراد جزاءهم وعذابهم في القيامة»[1].

ففي صورة التعارض بين الدليل العلميّ والدليل النقليّ تجري فيها أحكام المرجّحات في باب تعارض النقلين؛ فيجب تقديم الدليل القطعيّ اليقينيّ على الدليل الظنّيّ. فإذا تعارضت نظريّةٌ علميّةٌ قطعيّةٌ مع الدليل الظنّيّ النقليّ يجب تأويل الدليل النقليّ وفق القوانين العلميّة القطعيّة[2]. تركّز هٰذه النظريّة على أنّ العقل الصحيح بمعناه الشامل له منزلةٌ عظيمةٌ في هندسة المعرفة الدينيّة، ويُعدّ من مصادر الدين كالنقل الصحيح.

الدراسة النقديّة

هناك عدّة ملاحظاتٍ على نظريّة التداخل بين العلم والدين نستعرضها في ما يلي:

1- إثبات أنّ الدين يحتوي على جميع العلوم القوانين الطبيعيّة والتجريبيّة بنحو الموجبة الكلّيّة - أعمّ من الّتي تمّ اكتشافها أو الّتي

---

(1) جوادي آملي، عبد الله، حقيقة الدين، ص **108**.

(2) جوادى آملى، عبدالله، منزلت عقل در هندسهى معرفت دينى [منزلة العقل في هندسة المعرفة الدينيّة]، ص **74** و**76**.

سيتمّ كشفها في المستقبل - يحتاج إلى الدليل والحجّة، فلا قيمة لادّعاءٍ لا يدعمه دليلٌ صحيحٌ. لقد مرّ على نظريّة أبي حامدٍ الغزاليّ دهورٌ وقرونٌ متماديةٌ ولم نشاهد من يستخرج جميع هٰذه العلوم الطبيعيّة التجربيّة من القرآن الكريم بنحوٍ تفصيليٍّ. نعم، هناك لَمحاتٌ ولمعاتٌ من العلوم والقوانين الطبيعيّة العلميّة الّتي وردت في القرآن الكريم لغرض تثبيت العقائد وترسيخ الإيمان بالله وتوحيده وربوبيّته في قلوب المؤمنين، ولٰكن لم يتيسّر إثبات جميع العلوم الطبيعيّة والمعارف التجريبيّة واستنباطها من النصوص الدينيّة.

من جهةٍ أخرى تستلزم نظريّة التداخل أن يسند كلّ عالِمٍ نظريّتَه العلميّة إلى الآيات القرآنيّة، ويعتبرها دينيّةً، وهٰذا ما لا يقتنع به العقل[1].

وهل غرض القرآن وهدف الدين هو تبيين القوانين والعلوم الطبيعيّة البشريّة برمّتها بحيث يمثّل القرآن علمَ الطبّ وعلم الفيزياء والكيمياء والنجوم والهيئة وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد وغيرها من العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة؟! أو غرض الدين هو هداية الإنسان وإرشاده إلى الصراط المستقيم الّذي ينتهي به إلى السعادة الدنيويّة والأخرويّة ومصالحه الحقيقيّة.

---

(1) شيروانى، على، مباحثى در علم كلام جديد [بحوثٌ في الكلام الجديد]، ص 240.

نعم، ورد في القرآن الكريم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]. ولٰكن يقول المفسّرون: المراد من أنّ القرآن تبيانٌ لكلّ شيءٍ هو: «كلّ ما يرجع إلى أمر الهداية ممّا يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقيّة المتعلّقة بالمبدإ والمعاد والأخلاق الفاضلة والشرائع الإلٰهيّة والقصص والمواعظ، فهو تبيانٌ لذٰلك كلّه. لٰكن في الروايات ما يدلّ على أنّ القرآن فيه علم ما كان وما يكون وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، ولو صحّت الروايات لكان من اللازم أن يكون المراد بالتبيان الأعمّ ممّا يكون من طريق الدلالة اللفظيّة، فلعلّ هناك إشاراتٍ من غير طريق الدلالة اللفظيّة تكشف عن أسرارٍ وخبايا لا سبيل للفهم المتعارف إليها»[2].

2- توسعة مفهوم العقل بحيث يشمل العقل التجريبيّ الاستقرائيّ تكلّفٌ لا مبرّر له؛ مع أنّ المنهج التجريبيّ الحسّيّ لا يفيد اليقين القطعيّ، بل بُني على أساس الظنون والفرضيّات الظنّيّة الّتي لا تغني من الحقّ شيئًا. فإذا أدرجنا القوانين والنظريّات العلميّة في الدين

(1) سورة النحل: **89**.

(2) الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج **12**، ص **325**.

وأعددناها من جملة القضايا الدينيّة، وإذا أُبطلت ونُقضت تلك النظريّة العلميّة بعد فترةٍ من الزمن، فهٰذا يستلزم انتقاض الدين وإبطاله، وهٰذا خلاف الحكمة.

د- تعاضد العلم والدين

هناك نظريّةٌ حول نسبة العلم والدين تسعى في تحقيق العلاقة الوثيقة والارتباط الوطيد بينهما، وتركّز على التعاضد والتعامل والتساند والتكامل بين العلم والدين في كشف حقائق الكون. حسب هٰذه النظريّة ليس هناك أيّ تعارضٍ وتنافٍ بين مسائل الدين والعلم، بل تحاول نظريّة التعاضد والمكمّليّة أن ترسم مجموعةً متكاملةً متناسقةً متماسكةً يتساهم العلم والدين فيها في تبيين الأشياء والظواهر، وفي تحقيق رؤيةٍ كونيّةٍ منسجمةٍ. والتعاضد والتعاون بين العلم والدين يساعدنا على فهمٍ متكاملٍ وتفسيرٍ شاملٍ متوائمٍ منسجمٍ للعالَم. ويروق لي أن استشهد بكلام العلّامة الشهيد مرتضى مطهري حول العلاقة الوثيقة بين العلم والدين حيث يقول:

«العلم يمنحنا النور والقدرة، والإيمان يمنحنا العشق والأمل والدفء، العلم يصنع الأداة، والإيمان المقصد، العلم يمنح السرعة

والإيمان يحدّد الاتّجاه، العلم قدرةٌ والإيمان إرادةُ الخير، العلم يكشف عمّا هو موجودٌ، والإيمان يُلهِمُ ما ينبغي أن يُفعل، العلم ثورةٌ خارجيّةٌ والإيمان ثورةٌ باطنيّةٌ، العلم يجعل العالم عالمًا إنسانيًّا والإيمان يجعل الروح روحًا إنسانيّةً، العلم ينمّي وجود الإنسان بصورةٍ أفقيّةٍ، والإيمان ينمّيه بصورةٍ عموديّةٍ ويسمو به إلى أعلى، العلم يبني الطبيعة والإيمان يبني الإنسان.

العلم والإيمان كلاهما يمنحان الإنسان قوّةً، لٰكنّ العلم يمنحه قوّةً منفصلةً والإيمان يمنحه قوّةً متّصلةً. العلم جمالٌ وكذٰلك الإيمان، لٰكنّ العلم جمال العقل والإيمان جمال الروح، العلم جمال الفكر والإيمان جمال الإحساس. العلم والإيمان كلاهما يمنحان الإنسان أمانًا، لٰكنّ العلم يمنحنه أمان الخارج والإيمان يمنحه أمان الباطن. العلم يقي من الأمراض والسيول والزلازل والفيضانات، والإيمان يقي من الاضطرابات والوحدة والشعور بعدم وجود ملجإٍ، ويقي من العدميّة. العلم يجعل العالَم منسجمًا مع الإنسان، والإيمان يجعل الإنسان منسجمًا مع ذاته»[1].

(**1**) مطهرى، مرتضى، مجموعه‌ى آثار (انسان و ايمان) [مجموعة المؤلّفات (الإنسان والإيمان)]، ج **2**، ص **32**.

كان آلفرد نورث وايتهد (1861-1947) يدافع عن اتّجاه التكامل والتعاضد في نسبة العلم والدين، ويؤكّد على أنّه بإمكاننا أن نصوّر نظامًا موحَّدًا منسجمًا في ضوء تعاضد العلم والدين. كذٰلك جورج شلزينجر (George Schlesinger) (-1946م) يعتقد بأنّه علينا أن نستخرج المدّعيات الكلاميّة والعقديّة حول العالَم الخارجيّ، ثمّ نقوم بتقييمها العلميّ بمساعدة الملاحظة والمنهج التجريبيّ، وإن كان منهج العلم والدين وغايتهما وموضوعهما يختلف بعضها عن بعضٍ[1].

بناءً على نظريّة التعاضد والتكامل فإنّ لغة الدين ليست لغةً أسطوريّةً فرديّةً كلغة الدعاء والمناجاة الفرديّة، بل لغة الدين تكشف عن الواقع، وتحكي عن الحقيقة، كما أنّ لغة العلم تكشف عن الواقع، إذن يتساهم الدين والعلم في إعطاء رؤيةٍ منسجمةٍ متوائمةٍ متلائمةٍ من العالَم، من دون أيّ رؤيةٍ استقلاليّةٍ انفصاليّةٍ إليهما[2].

---

(1) Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.300.

(2) Ian G. Barbour, Issues In Science and Religion p: 3.

كذٰلك الفيلسوف البريطانيّ دونالد مك كي (Donald Mackay) (1922–1987) يعتقد بالتناسق والتلاحم بين العلم والإلٰهيّات ويقول:

«"التعارض" بين العلم والدين يحصل فيما إذا كان هناك موضوعٌ وحادثةٌ واحدةٌ مع تفسيرٍ واحدٍ له، و"التمايز" بين العلم والدين فيما إذا كان هناك موضوعان متغايران مع تفسيرَيْن متغايرين لهما. و"التكامل والتعاضد" بين العلم والدين يتحقّق فيما إذا كان هناك موضوعٌ واحدٌ مع تفاسير متعدّدةٍ له، مع تغاير منهجهما وغاياتهما، فهٰذا هو التعاضد والتكامل بين العلم والدين»[1].

إذن من منظار مك كي فإنّ غاية العلم والدين واحدةٌ ومنهجهما متعدّدٌ ومختلفٌ، ولٰكنّهما يتأمّلان ويبحثان حول موضوعٍ واحدٍ، وكلّ واحدٍ منهما يقدّم تفسيرًا وبيانًا خاصًّا من هٰذه الحقيقة الواحدة ويكمّل بعضه البعض. بعبارةٍ أخرى إذا أردنا أن نفهم الواقع الخارجيّ فهمًا شاملًا كاملًا فنحتاج إلى التفاسير العلميّة

---

(1) Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.300.

والدينيّة معًا في تبيين حقيقةٍ واحدةٍ، وهٰذا هو المقصود من نظريّة "التعاضد والمكمّليّة".

على سبيل المثال أنّ مهمّة العلم وشأنه تبيين العلاقات العليّة والمعلوليّة بين الوقائع والأحداث الطبيعيّة وتوصيفها، ولٰكن ليس هٰذا تمام الواقع، بل فيه خللٌ ونقصانٌ؛ فلذا يأتي دور الدين ليبيّن المعنى والروح السائدة على هٰذه الأحداث والأشياء، وهو ربوبيّة الله - تعالى - وتدبيره لها. ومن الموارد الّتي يتضامن ويتعاضد فيها العلم والدين معًا في إراءة رؤيةٍ كونيّةٍ مشتركةٍ متكاملةٍ هي:

1- أنّ غاية العلم هي كشف النظم السائد على الطبيعة، ويتمثّل هٰذا النظم في القواعد العلميّة. ولٰكنّ هدف الدين هو أن يتعرّف الإنسان على غاية العالم ومعناه، وهو الله تعالى، وأن يعرف مكانته في الكون.

2- أنّ العلم يبيّن صورةً منسجمةً ومتناغمةً من العالَم الطبيعيّ المادّيّ، ولٰكن من جهةٍ أخرى يثير العلمُ تساؤلاتٍ لا يقدر على الإجابة عليها، فيحتاج العلمُ إلى الدين حاجةً ماسّةً للإجابة عن هٰذه الأسئلة. يقول تشارلز هارد تاونز (Charles Hard Townes) (عالم الفيزياء الحائز لجائزة نوبل):

«أنا أعتقد أنّنا إذا بحثنا عن الأمور من منظار العلم فحسب، فتبقى الأسئلة المتعلّقة بمبدإ الوجود بلا جوابٍ، فنحتاج إلى إجابةٍ دينيّةٍ أو متافيزيقيّةٍ، إذا كان من المقرّر الإجابة على هٰذا النوع من الأسئلة»[1].

الجدير بالذكر هو: أنّ موقفنا من علاقة العلم والدين في هٰذا البحث هو موقف التعاضد والتساند والتكامل فيما بينهما وليس موقف تعارضٍ وتمايزٍ وتداخلٍ؛ لما تعانيه هٰذه النظريّات الثلاثة من النقد والإشكال والخَلل. ولٰكنّ العلاقة التعاضديّة بين العلم والدين تتمثّل في صُوَرٍ وأشكالٍ متعدّدةٍ مثل الخدمات المتبادلة بين العلم والدين أو نظريّة "العلم الدينيّ" الّتي سنبيّنها في مبحث "حلّ التعارض بين العلم والدين".

ملاحظةٌ: لا يجوز أن نتوقّع من الدين أن يبيّن لنا جميع القوانين والأحكام في العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة كمًّا وكيفًا، بحيث يحتوي على مجموعةٍ شاملةٍ من القوانين الفيزيائيّة والكيمائيّة وغيرها من العلوم البشريّة؛ إذْ ليس الدين هو علم الفيزياء ولا الكيمياء ولا علم النفس ولا علم الاجتماع ولا علم السياسة والاقتصاد بمعناه الدقيق

---

(1) Henry Margeneau and Roy A. Varghese, eds., Cosmos, Bios, Theos (La Salle, Illinois: Open Court, 1992) P. 123.

العلميّ كعلمٍ مستقلٍّ على حدةٍ، بل الدين يهيمن ويسيطر على جميع هٰذه العلوم من جهة دورها وتأثيرها في تحقيق السعادة الدنيويّة والأخرويّة للإنسان. بمعنى أنّ الدين ليست وظيفته ومهمّته هي بيان العناصر المؤلِّفة للأشياء المادّيّة وآثارها الفيزيائيّة والكيميائيّة، ولا كشف العلاقات والروابط العلّيّة بين الأحداث والأشياء في عالم الطبيعة كما هو شأن سائر العلوم، بل غاية الدين ومهمّته الرئيسة أن يبيّن لنا كيف نستفيد من هٰذه الأشياء والقوانين الطبيعيّة بشكلٍ صحيحٍ؛ حتّى نصل إلى السعادة الواقعيّة الإنسانيّة. بعبارةٍ أخرى شأن الدين هو بيان جميع ما له تأثيرٌ ودورٌ في هداية الإنسان نحو السعادة الحقيقيّة في الدنيا والآخرة، وتوجيه أعماله وسلوكيّاته ومعتقداته بحيث تكون في اتّجاه مرضاة الله وإرادته، وبيان القيم الأخلاقيّة والإلٰهيّة في كيفيّة استخدام العلوم والنتاجات الفكريّة البشريّة، وهٰذا ما تعجز عنه العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة[1].

والجدير بالذكر أنّ الدين أحيانًا يتطرّق إلى بعض القوانين الطبيعيّة كمراحل تطوّر الجنين وحركة الأرض وعمليّة اللقاح في النباتات وغيرها من القضايا العلميّة، ولٰكن ليس غرضه من ذكرها

---

(1) مصباح يزدى، محمدتقى، نظريه‌ى سياسى اسلام [النظريّة السياسيّة للإسلام]، ص 59.

في النصوص الدينيّة إلّا بيان عظمة الله - تعالى - وحكمته البالغة وإتقان صنعه، أو بيان الإعجاز العلميّ لترسيخ المعتقدات التوحيديّة وهداية البشر نحو سعادته الحقيقيّة. وبناءً على نظريّة التعاضد ينبغي هنا أن نشير إلى الخدمات المتبادلة بين العلم والدين في هٰذا المجال.

الخدمات المتبادلة بين العلم والدين

على مرّ التاريخ كان هناك اتّجاهان يركّزان على تعارض العلم والدين، ويجعل أحدهما مخالفًا للآخر، الطائفة الأولى الجهّال الّذين يتظاهرون بالتديّن ويستغلّون الدين وجهل الناس، فيرتزقون من الدين. يحاول هٰؤلاء أن يُبقوا الناس في الجهالة، ويغطّون عيوبهم تحت لواء الدين، ويرفضون العلماء بسلاح الدين، ويحذّرون الناس من العلم بذريعة أنّه ينافي الدين.

الاتّجاه الثاني الّذي يضخّم التعارض بين العلم والدين شريحةٌ من المثقّفين الّذين نبذوا القِيم الإنسانيّة والأخلاقيّة وراء ظهورهم، وتذرّعوا بذرائع شتّى ليبرّروا الإباحيّة وعدم التقيّد والالتزام بالدين؛ لذا يعتمدون على العلم ويعدّونه حاجزًا ومانعًا من التقرّب إلى الدين.

هناك اتّجاهٌ ثالثٌ عبر التاريخ يستفيد من موهبة العلم والدين معًا، ولا يشعر بأيّ تعارضٍ وتنافٍ بينهما، فيحاول هٰذا الاتّجاه أن يزيل غبار التنافي الّذي أثاره الاتّجاهان الأوّل والثاني عن العلم والدين(1). وهٰذا الاتّجاه الثالث يركّز على الخدمات المتبادلة بين

---

(1) مطهري، مرتضى، بيست گفتار [عشرون مقالًا]، ص 179.

العلم والدين. إذن من الضروريّ أن نسلّط الضوء على هٰذه الخدمات المتبادلة؛ لنرى مدى تعاضد أحدهما بالآخر، ففي هٰذا المجال نستعرض شطرًا من هٰذه الخدمات والمساعدات الّتي قدّمها الدين للعلم، أو بالعكس قدّمها العلم للدين.

أوّلًا: خدمة العلم للدين

أ- كشف رموز الطبيعة وأسرارها في ضوء تطوّر العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة يكشف أبعادًا جديدةً من الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم، فالقرآن قبل أربعة عشر قرنًا وقبل هٰذه الاكتشافات الباهرة في العلوم والتقنية تنبّأ وأخبر عن حقيقةٍ كونيّةٍ طبيعيّةٍ كحركة الأرض، أو لقاح النباتات، أو مراحل تطوّر الجنين في بطن الأمّ وما شابه ذٰلك، وهٰذا يُثبت أحقّيّة القرآن الكريم. بعبارةٍ أخرى أنّ بعض الحقائق الطبيعيّة في القرآن الكريم يمكن إثباتها بالمنهج التجريبيّ الحسّيّ، وهٰذا يفيد المثقّفين الّذين لا يقتنعون إلّا بلغة العلم والتجربة، ويجعلهم يعترفون بإعجاز القرآن الكريم وعظمة الله تعالى.

ب- بما أنّ العلوم الطبيعيّة التجريبيّة تكشف عن حقائق الأمور بشكلٍ تفصيليٍّ وجزئيٍّ، وتُبيّن العلاقات والروابط الدقيقة والعجيبة بين أجزاء النسيج الداخليّ لشيءٍ واحدٍ، أو بين الأشياء

المتعدّدة، فهٰذا يساعد الإنسان على معرفة الله - تعالى - وحكمته وإتقان صنعه وعلمه وقدرته. بتعبيرٍ آخر إنّ الاكتشافات العلميّة المدهشة المحيّرة الّتي أثمرتها العلوم الطبيعيّة تُعتبر "صغرى" لبرهان النظم، فإذا ضُمّت إليها "الكبرى الكلّيّة" يتألّف منهما هٰذا القياس المنطقيّ: العالم يسوده نظمٌ ونظامٌ دقيقٌ (صغرى)، وكلّ ما يسوده نظمٌ ونظامٌ دقيقٌ فله ناظمٌ حكيمٌ قادرٌ عليمٌ (كبرى).

وإن كان هدف الإنسان الحداثيّ وغايته المنشودة من تطوّر العلوم الحديثة وازدهارها الحصولَ على الرفاهية والراحة واللذّة أكثر فأكثر، ولٰكن ينتفع بها الموحّدون والمؤمنون لترسيخ المعتقدات الدينيّة في نفوسهم، ولتقوية إيمانهم بالله تعالى؛ لذا نرى أنّ بعض روّاد علم الفيزياء يصرّحون بأنّ الغاية من علم الفيزياء هي فهم عالم الطبيعة كصنعٍ من مصنوعات الله تعالى، يقول أينشتاين: «إنّني أريد أن أكتشف كيف خلق الله العالم؛ إذ لا أحبّ أن أعرف ظاهرة كذا أو عنصر كذا؛ بل أريد أن أعرف تصميم الله للكون، ولٰكنّ سائر المسائل تعدّ من الجزئيّات»[1].

وأيضًا يقول ويتن (Witten) وهو من أقطاب علم الفيزياء في

(1) A. P. French, Einstein, A Centnary Volume (London: Heinmann, 1979), P. 67.

أواخر القرن العشرين: «ليس هدف عالِم الفيزياء أن يعرف كيف يحاسب الأشياء، بل غايته من دراسة علم الفيزياء أن يتعرّف على أصولٍ وقوانين يعتمد عليها عالَم الكون»[1].

ج - لا شكّ في أنّ المناسك والتعبّديّات في الشريعة لها حِكَمٌ وعللٌ، فهي تابعةٌ للمصالح والمفاسد الحقيقيّة، ولٰكنّ كثيرًا منها مخفيٌّ عنّا وغير مكشوفٍ لنا. وتطوّرُ العلوم الحديثة الطبيعيّة يبيّن لنا بعض الحِكَم المكنونة وراء الأمور التعبّديّة والمناسك العباديّة، ويمنح للإنسان روح التعبّد والالتزام والتقيّد بالعبادات الفرديّة والاجتماعيّة أكثر فأكثر.

د- أنّ تقدّم العلوم الإنسانيّة والطبيعيّة والاجتماعيّة له دورٌ مهمٌّ في ترسيخ القِيم الأخلاقيّة وإشاعتها على المستوى الفرديّ والاجتماعيّ. والتجارب البشريّة الضخمة المتراكمة طول حياة الإنسان وكثرة اختباراته للأمور تكشف عن الحقائق الّتي جاء بها الوحي الإلٰهيّ عن طريق الأنبياء لسعادة الإنسان.

---

(1) المصدر السابق.

ثانيًا: خدمة الدين للعلم

أ- يدعو الدين إلى التعقّل والتفكّر في الحقائق الكونيّة، وإثارة العقول، ويشجّع على البحث والتفتيش عن أسرار الأمور والأشياء المخلوقة في عالم الطبيعة، وتُعدّ هٰذه الدعوة من أهمّ الخدمات الّتي يقدّمها الدين للعلم. لقد حثّ القرآن الكريم على التفكّر والتدبّر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والأبعاد الوجوديّة للإنسان من بدنه وروحه وعقله. وهٰذا التشجيع مهّد الأرضيّة للمفكّرين والعلماء لأن يبذلوا قصارى جهودهم لكشف الروابط والعلاقات الموجودة بين الأشياء، ويدوّنوا علومًا متعدّدةً. في الحقيقة أن للمحفّزات والدوافع الدينيّة والإيمانيّة (Fideism) دورًا فعّالًا في تطوّر العلوم الطبيعيّة وكمالها وازدهارها. يقول العلّامة الطباطبائيّ:

«يمكن أن نقول بكلّ جرأةٍ إنّ السبب الرئيسيّ لاهتمام المسلمين واشتغالهم بالعلوم العقليّة من الطبيعيّات والرياضيّات وغيرها من العلوم - سواءٌ كان عن طريق ترجمة هٰذه العلوم في بداية الأمر وعن طريق الابتكار والإبداع في آخر المطاف - رهين المحفّزات الثقافيّة والدوافع الّتي أثارها القرآن المجيد في نفوس المسلمين»[1].

---

(1) الطباطبائيّ، محمّدحسين، القرآن في الإسلام، ص 111.

كذٰلك يقول آرثر شاولو (Arthur Leonard Schawlow) (الفيلسوف وعالم الفيزياء الفائز بجائزة نوبل): «إنّ الدين يوفّر أرضيّةً عظيمةً للبحث العلميّ؛ لأنّ السماوات تبيّن عظمة الله وتُظهر صنعه، إذن البحث العلميّ يُعدّ عبادةً لأنّ العلم يبرز عجائب الخلقة أكثر فأكثر»[1].

ب- قدّم الدين ملامح وومضاتٍ من العلوم الطبيعيّة وأسرارها، وفتح للعلماء والباحثين آفاقًا معرفيّةً جديدةً لم يسبقها علمٌ من العلوم البشريّة. وهٰذا يتجسّد في الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم وإخبار أولياء الدين عن أمورٍ خارقةٍ للعادة من القوانين العلميّة. ولا شكّ في أنّ إخبار الدين عن هٰذه الحقائق الكونيّة قبل أن يكتشفها العلماء بالأجهزة المتطوّرة خدمةٌ عظيمةٌ للعلم؛ لذا نستعرض هنا شطرًا من هٰذه الحقائق بشكلٍ موجزٍ:

- حركة الأرض: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾[2].

---

(1) Henry Margeneau and Roy A. Varghese, eds., Cosmos, Bios, Theos (La Salle, Illinois: Open Court, 1992), P. 106.

(2) سورة النمل: **88**.

- لقاح النباتات: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[1].

- مراحل تطوّر الجنين: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2].

- معرفة وجود بصمات الأصابع وعدم اشتراك فردَيْن فيها: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[3].

- تضايق الصدر عند الصعود في السّماء: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[4].

- وجود المشارق المتعدّدة: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[5].

---

(1) سورة الحجر: 22.

(2) سورة المؤمنون: 14.

(3) سورة القيامة: 4.

(4) سورة الأنعام : 125.

(5) سورة الصافّات: 5.

جـ- من جملة خدمات الدين للعلم هو أنّ الدين وضع للعلم أطرًا وموازين أخلاقيّةً وإيمانيّةً ومعنويّةً، وأصرّ على أنّ العلم يجب أن يتأطّر بالقيم الأخلاقيّة والإنسانيّة. فلو خرج العلم عن هٰذا النطاق الأخلاقيّ وهٰذه القيم، فهٰذا من شأنه أن يسبّب ارتكاب الجرائم البشعة باسم العلم وبسبب العلم، فالإيمان هو الّذي ينوّر طريق العلم ويجعل له غاياتٍ مطلوبةً.

د- لقد تقدّمت العلوم الطبيعيّة تقدّمًا باهرًا مدهشًا في العصر الراهن، ولٰكن لم تستطع أن تجيب عن الأسئلة المبدئيّة الأساسيّة للبشر وسكتت وعجزت عنها. بعبارةٍ أخرى لم يلبّ العلم متطلّبات البشر في جوانب الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، ولم يستطع أن يجيب عن الأسئلة الأساسيّة الّتي تنبثق من عقل الإنسان المعاصر وفطرته التوحيديّة. فبدأت تظهر أضرار العلم بلا إيمانٍ ودينٍ وآثاره السلبيّة؛ فلذا نشاهد التراجع إلى الدين والمعنويّة في منتصف القرن العشرين بشكلٍ عجيبٍ.

ومن هٰذه الأسئلة المهمّة: لماذا وُجد العالَم ومن أين نشأ؟ هل للعالَم هدفٌ وغايةٌ وما هي غايته؟ لماذا خُلق الإنسان وما مكانته في العالم؟ ما مصير الإنسان وما منتهاه؟ ما معنى الحياة ومصدرها؟ ما وظائف الإنسان وحقوقه؟ ما معنى الجيّد والرديء والحُسن والقبح

في حياة الإنسان؟ وغيرها من التساؤلات المهمّة الّتي شغلت بال الإنسان المعاصر. لقد اعترف علماء الطبيعة والفيزياء بأنّ العلم "science" عاجزٌ وقاصرٌ عن الإجابة على هٰذه الأسئلة، وأنّ الدين قادرٌ على الإجابة عليها، وحلّ هٰذه المشاكل الفكريّة.

لذا يقول مارجنو (Henry Margeneau) (الفيلسوف وعالم الفيزياء): «إنّ العلم يحتاج إلى الدين حتّى يبرّر له مصدر نجاحه وإنجازاته»[1].

هـ - أنّ الدين يخدم العلم في ضوء إعطاء رؤيةٍ كونيّةٍ توحيديّةٍ وتفسيرٍ إلٰهيٍّ ربّانيٍّ، وهٰذه الرؤية التوحيديّة تؤثّر على اكتشاف العلوم وإبداعها تأثيرًا بالغًا. فبعض النظريّات العلميّة المهمّة كانت متأثّرةً ومستلهمةً من الرؤية الكونيّة الدينيّة، على سبيل المثال يعتقد أينشتاين (Albert Einstein) بأنّ فكرة "أنّ الطبيعة قابلةٌ للفهم والإدراك" مقتبسةٌ من الدين، بمعنى أنّ الأنظمة السارية في العالم يمكن للعقل أن يُدركها، فالعلم بدون الدين ناقصٌ وقاصرٌ، كما أنّ الدين بدون العلم أعمى.

---

(1) Henry Margeneau and Roy A. Varghese, eds., Cosmos, Bios, Theos (La Salle, Illinois: Open Court, 1992), P. 62.

وأيضًا يعتقد أندريه لينده (Andrei Linde) عالم الكونيّات الروسيّ المعروف أنّ البحث عن "النظريّة الشاملة" في الفيزياء - الّتي بصدد كشف نظريّةٍ موحّدةٍ منسجمةٍ تستوعب تبرير كلّ صور المادّة أشكالها، وتبيّن جميع الطاقات الطبيعيّة وتوضّحها - مأخوذٌ من الرؤية التوحيديّة الإلٰهيّة[1].

من جهةٍ أخرى فإنّ العلوم الإنسانيّة كالاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم القانون والعلوم التربويّة وغيرها رهينةٌ بمعرفةٍ عميقةٍ ودقيقةٍ عن حقيقة الإنسان. والدين يساعد هٰذه العلوم الإنسانيّة بتقديم تعريفٍ حقيقيٍّ دقيقٍ عن هويّة الإنسان وأبعاده الوجوديّة، وأنّه يتألّف من البعدين الروحيّ والبدنيّ، ولكلّ واحدٍ منهما آثارٌ ولوازم خاصّةٌ.

و- قبل سنة 1960 كان علماء الفيزياء يعتقدون بضرورة استقلال بحوثهم عن المفروضات الفلسفيّة والمبادئ المتافيزيقيّة، ولٰكن ظهرت بعض المدارس في فلسفة العلم وأبطلت هٰذه المزاعم، واعترفت بأنّ العلم يعتمد على المفروضات الفلسفيّة والمتافيزيقيّة أشدّ الاعتماد، ومع إنكارها لا معنى للأبحاث العلميّة والتجريبيّة،

(1) The Christian Science Monitor, July 9, 1998, P. B4.

وينبغي هنا أن نستعرض شطرًا من هٰذه الافتراضات المسبقة الّتي تركن إليها العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة:

- هناك عالَمٌ عينيٌّ مستقلٌّ عن أذهاننا، وهو منشأ التأثّرات الحسّيّة.

- يمكن أن يعرف الإنسان هٰذا العالَم العينيّ في ضوء التجربة والبراهين العقليّة.

- أنّ المعطيات التجريبيّة يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها، ولا تخدعنا.

- يمكن للإنسان أن يصوّر عالَم الطبيعة بصورةٍ رياضيّةٍ وفي قالَب علم الرياضيّات.

- أنّ القوانين الأساسيّة السائدة في عالَم الطبيعة قوانين موحّدةٌ وثابتةٌ مستمرّةٌ في كلّ الأزمنة والأمكنة، ويمكن معرفتها.

والحقّ أنّ مصدر هٰذه الافتراضات المسبقة ومنشأ هٰذه القبليّات المعرفيّة هو الأديان التوحيديّة الإبراهيميّة والفلسفات العقليّة القديمة.

والجدير بالذكر أنّ بعض كبار علماء الفيزياء يصرّح بصوتٍ عالٍ أنّ للعلم مفروضاتٍ متافيزيقيّةً وعقليّةً يعجز العلم عن إثباتها، بل هناك افتراضاتٌ مسبقةٌ تعتمد عليها العلوم بوصفها مسلّماتٍ يستلزم قبولها نوعًا من "الإيمان":

«إذا قيل إنّ الدين يتطلّب ويقتضي نوعًا من الإيمان بحقائق غير قابلةٍ للإثبات، فكذٰلك العلوم الفيزيائيّة المعتمدة على الرياضيّات تقتضي نوعًا من الإيمان»[1].

---

(1) گلشنی، مهدی، علم و دین و معنویت در آستانه‌ی قرن بیست و یکم [العلم والدين والمعنويّة في أعتاب القرن الحادي والعشرين]، ص **40**.

العلاج والحلّ في التعارض بين العلم والدين

بعد أن تطرّقنا إلى النظريّات المطروحة حول نسبة العلم والدين، ينبغي أن ندرس الاتّجاهات الّتي تحاول أن تعالج التعارض بين العلم والدين في ضوء المبادئ والأسس الفكريّة الّتي تتبنّاها كلُّ نظريّةٍ، ثمّ نختار الصحيح في هٰذا المجال:

أ- حاولت بعض الاتّجاهات الفكريّة معالجة التعارض بين العلم والدين بالتفريق والتفكيك بين نطاقهما وإطارهما، ونفي المساحة المشتركة بينهما، بحيث ينتفي التعارض بانتفاء أرضيّته، فقد صرّح "غاليله" (1564-1642) في بعض كتبه بهٰذا الحلّ[1].

وكذٰلك سعى إيمانوئيل كنط في أن يحلّ التعارض بين العلم والدين في ضوء التمييز والتفريق بين العقل النظريّ والعقل العمليّ، إذ خصّص العقلَ النظريّ بدراسة العلوم التجريبيّة وإثبات مدّعياتها، وخصّص

---

(1) Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.291.

العقلَ العمليّ بالمتافيزيقيا والإلٰهيّات وإثبات ما وراء الطبيعة والقضايا الأخلاقيّة. فقد حكم كانط (Immanuel Kant) بعجز العقل النظريّ وقصوره عن إثبات ما يتعلّق بالمتافيزيقيا والإلٰهيّات وإثبات وجود الله تعالى. فمهمّة العلم حسب رؤية كنط هي إدراك ظواهر الأشياء وليس الواقع، ووظيفة العقل العمليّ هي إدراك القضايا الأخلاقيّة وما يتعلّق بالوجدان الأخلاقيّ[1].

كذٰلك حاول التيّار الأرثوذكسيّ الجديد أن يحلّ التعارض بين العلم والدين بالتفريق والتفكيك بين موضوع الدين والعلم وغايتهما ومنهجهما، فقال إنّ موضوع الدين والإلٰهيّات هو تجلّي الله في المسيح، ولٰكنّ موضوع العلم هو عالَم الطبيعة. وتبعًا لهٰذا التفريق بين موضوع الدين والعلم يختلف منهج الدين - وهو تجلّي الله علينا - عن منهج العلم وهو العقل التجريبيّ البشريّ. واختلفت أيضًا غاية الدين وهي إعداد الإنسان وتهيئته لمواجهة الله تعالى، عن غاية العلم وهي التعرّف على القوانين السائدة على عالَم الطبيعة[2].

---

(1) إيمانويل كنط، نقد العقل المحض، النسخة المنقّحة، ترجمة: موسى وهبة، ص 40.

(2) Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.298.

وكذٰلك ميّز الاتّجاه الإلٰهيّ في الفلسفة الوجوديّة بين الدين والعلم بأنّ المعرفة الدينيّة هي معرفةٌ فرديّةٌ ذهنيّةٌ تعالج الأمراض النفسيّة كالقلق النفسيّ والاضطراب. ولٰكن المعرفة العلميّة معرفةٌ عينيّةٌ غير فرديّةٍ تكشف عن الواقع، فموضوع العلم أمورٌ مادّيّةٌ ملموسةٌ، ولٰكنّ موضوع الدين أمورٌ فرديّةٌ أخلاقيّةٌ[1].

من الاتّجاهات الفكريّة الّتي حاولت أن تعالج التعارض بين العلم والدين بالتفريق والفصل بينهما هي "المدرسة الوضعيّة". فقد ركّز أتباع المدرسة الوضعيّة على أنّ المعرفة العينيّة الحقيقيّة هي الّتي تخضع للمعايير والموازين التجريبيّة ولها قابليّة الإثبات التجريبيّ، وإلّا فلا معنى للقضايا الّتي لا تخضع للمقاييس التجريبيّة والحسّيّة. فالقضايا الدينيّة والمتافيزيقيّة فارغةٌ من أيّ معنًى، وتكون مهملةً ولغوًا لأجل ذٰلك[2].

الجدير بالذكر هو أنّ جميع هٰذه الرؤى تصبّ في مصبٍّ واحدٍ، وهو تحويل الدين والحطّ من شأنه وتنزيله الى مستوى علاقةٍ فرديّةٍ باطنيّةٍ مع الأمر القدسيّ أو قراراتٍ أخلاقيّةٍ، ومن جهةٍ أخرى

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

إعطاء العينيّة والاهتمام البالغ والاعتناء الشديد بالعلم والمنهج التجريبيّ. وكما ذكرنا سابقًا أنّ هٰذا الحلّ يؤدّي إلى عزل الدين وفصله عن حياة البشر، ويتواءم مع الديانة المسيحيّة المحرّفة الّتي تخلو من التعاليم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، ولا يتلاءم مع واقع الدين الإسلاميّ.

2- التركيز على الحلول اللغويّة لمعالجة التعارض بين العلم والدين. وتعتمد الفلسفة التحليليّة على هٰذا الحلّ، وتعدّ لغة الدين لغةً أسطوريّةً لا تحكي عن الواقع العينيّ، خلافًا للغة العلم الّتي تخبر عن الواقع الملموس. والتفريق والفصل بين لغة الدين ولغة العلم من الطرق الّتي تمسّك بها أتباع المدرسة التحليليّة اللغويّة لرفع التعارض بين العلم والدين. وهٰذا يعني أنّ لغة الدين هي لغة الدعاء والمناجاة، ولٰكنّ لغة العلم تقوم بمهمّة التنبّؤ والضبط للظواهر الطبيعيّة، بحيث تكون القضايا التجريبيّة قابلةً للإثبات والاختبار والملاحظة لجميع الناس[1].

لذا نرى أنّ ويتغنشتاين يعالج التعارض بين العلم والدين بالتفكيك بين لغة الدين ولغة العلم في ضوء نظريّته المعروفة

(1) Ian G. Barbour, Issues In Science and Religion p:3.

بـ"الألعاب اللغويّة" (game theory of language)[1]. يعتقد ويتغنشتاين أنّ لكلّ واحدٍ من العلم والدين "لعبةً لغويّةً" مختصّةً به، وأنّ لكلّ لعبةٍ لغويّةٍ إطارًا محدّدًا خاصًّا، بحيث لا يفهمه من هو خارجٌ منه، ولا يقدر على تقييمه والحكم عليه من هو خارجٌ من هٰذا الإطار، فلغة الدين لها إطارٌ ونطاقٌ محدّدان خاصّان ولا يفهمها ولا يقيّمها من هو خارجٌ منه. وكذٰلك لغة العلم، فهٰذا يدلّ على فصل نطاق الدين عن نطاق الفلسفة والعلم.

لا شكّ في أنّ نظريّة ويتغنشتاين والحلول اللغويّة مبنيّةٌ على النظريّة المعرفيّة الخاطئة، وهي حصر المعرفة في مصدر الحسّ والتجربة الحسّيّة. ولٰكنّ الحقّ أنّ هناك مصادر معرفيّةً أخرى من العقل والمعرفة الشهوديّة والوحي لكشف الحقائق. إذن القضايا الدينيّة ولغة الدين ليست لغةً أسطوريّةً وفارغةً من المعنى، بل هي تكشف عن الواقع كما تكشف لغة العلم عن الواقع.

3- هناك حلٌّ آخر وهو التفريق والتمييز بين القضايا اليقينيّة القطعيّة وبين القضايا الظنّيّة المحتملة في العلم والدين. فإذا

---

(1) Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and -David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion.

تعارضت قضيّةٌ علميّةٌ ظنّيّةٌ غير مدعومةٍ بالدليل القطعيّ مع قضيّةٍ قطعيّةٍ مسلّمةٍ دينيّةٍ يجب ترجيح القضيّة الدينيّة على القضيّة العلميّة. على سبيل المثال ينتقد العلّامة الطباطبائيّ نظريّة تكامل الأنواع المنسوبة إلى داروين؛ لأنّها فرضيّةٌ لا يدعمها دليلٌ وحجّةٌ قطعيّةٌ مقنعةٌ ويقول:

«الآيات السابقة تكفي مؤونة هٰذا البحث، فإنّها تُنهي هٰذا النسل الجاري بالنطفة إلى آدم وزوجته، وتبيّن أنّهما خلقا من ترابٍ، فالإنسانيّة تنتهي إليهما، وهما لا يتّصلان بآخر يماثلهما أو يجانسهما، وإنّما حدثا حدوثًا. والشائع اليوم عند الباحثين عن طبيعة الإنسان أنّ الإنسان الأوّل فردٌ تكامل إنسانًا، وهٰذه الفرضيّة بخصوصها وإن لم يتسلّمها الجميع تسلّمًا يقطع الكلام، واعترضوا عليه بأمورٍ كثيرةٍ مذكورةٍ في الكتب، لٰكنّ أصل الفرضيّة وهي "أنّ الإنسان حيوانٌ تحوّل إنسانًا" ممّا تسلّموه، وبنوا عليه البحث عن طبيعة الإنسان. فإنّهم فرضوا أنّ الأرض - وهي أحد الكواكب السيّارة - قطعةً من الشمس مشتقّةً منها، وقد كانت في حال الاشتعال والذوبان، ثمّ أخذت في التبرّد من تسلّط عوامل البرودة، وكانت تنزل عليها أمطارٌ غزيرةٌ وتجري عليها السيول وتتكوّن فيها البحار، ثمّ حدثت تراكيب مائيّةٌ وأرضيّةٌ فحدثت النباتات المائيّة، ثمّ حدثت بتكامل النبات واشتمالها على جراثيم الحياة السمك وسائر الحيوان المائيّ، ثمّ السمك الطائر ذو

الحياتين، ثمّ الحيوان البرّيّ، ثمّ الإنسان، كلّ ذٰلك بتكاملٍ عارضٍ للتركيب الأرضيّ الموجود في المرتبة السابقة، يتحوّل به التركيب في صورته إلى المرتبة اللاحقة، فالنبات ثمّ الحيوان المائيّ، ثمّ الحيوان ذو الحياتين، ثمّ الحيوان البرّيّ، ثمّ الإنسان على الترتيب هٰذا؛ كلّ ذٰلك لما يشاهَد من الكمال المنظّم في بنيها نظم المراتب الآخذة من النقص إلى الكمال، ولما يعطيه التجريب في موارد جزئيّة التطور.

وهٰذه فرضيّةٌ افترضت لتوجيه ما يلحق بهٰذه الأنواع من الخواصّ والآثار من غير قيام دليلٍ عليها بالخصوص، ونفي ما عداها مع إمكان فرض هٰذه الأنواع متباينةً من غير اتّصالٍ بينها بالتطوّر، وقصر التطوّر على حالات هٰذه الأنواع دون ذواتها، وهي الّتي جرى فيها التجارب، فإنّ التجارب لم يتناول فردًا من أفراد هٰذه الأنواع تحوّل إلى فردٍ من نوعٍ آخر، كقردةٍ إلى إنسانٍ، وإنّما يتناول بعض هٰذه الأنواع من حيث خواصّها ولوازمها وأعراضها. وإنّما المقصود الإشارة إلى أنّه فرضٌ افترضوه لتوجيه ما يرتبط به من المسائل، من غير أن يقوم عليه دليلٌ قاطعٌ، فالحقيقة الّتي يشير إليها القرآن الكريم من كون الإنسان نوعًا مفصولًا عن سائر الأنواع غير معارضةٍ بشيءٍ علميٍّ»[1].

---

(1) الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان فى تفسير القرآن، ج **4**، ص **144**.

فإذا كان أحد أطراف التعارض من الأمور الظنّيّة المحتملة الّتي لا يؤيّدها دليلٌ قاطعٌ، فلا يتساوى مع الطرف الّذي ينبثق عن الوحي المعصوم عن الخطإ.

من جهةٍ أخرى إذا تعارضت قضيّةٌ علميّةٌ مسلّمةٌ مع ظواهر القضايا الدينيّة الظنّيّة يجب أن نؤوّل الظواهر الظنّيّة لصالح القضيّة المسلّمة العلميّة. على سبيل المثال إذا قامت القرائن العلميّة القطعيّة على إثبات نظريّة "مركزيّة الشمس وحركة الأرض حولها"، فعلى علماء الدين أن يعيدوا النظر إلى الكتاب المقدّس، ويؤوّلونه بحيث يتلاءم ويتناغم مع النظريّة العلميّة القطعيّة.

لقد اعتمد العلّامة الطباطبائيّ على هٰذه الطريقة في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾[1]، فقال:

«أورد المفسّرون أنواعًا من التوجيه لتصوير استراق السمع من الشياطين ورميهم بالشهب، وهي مبنيّةٌ على ما يسبق إلى الذهن من ظاهر الآيات والأخبار أنّ هناك أفلاكًا محيطةً بالأرض تسكنها جماعات الملائكة، ولها أبوابٌ لا يلج فيها شيءٌ إلّا منها، وأنّ في

(1) سورة الصافّات: **10**.

السماء الأولى جمعًا من الملائكة بأيديهم الشهب يرصدون المسترقين للسمع من الشياطين، فيقذفونهم بالشهب. وقد اتّضح اليوم اتّضاح عيانٍ بطلان هٰذه الآراء، ويتفرّع على ذٰلك بطلان الوجوه الّتي أوردوها في تفسير الشهب، وهي وجوهٌ كثيرةٌ أودعوها في المطوّلات كـ (التفسير الكبير) للرازي و(روح المعاني) للآلوسيّ وغيرهما.

ويحتمل - والله العالم - أنّ هٰذه البيانات في كلامه عزّ وجلّ من قبيل الأمثال المضروبة، تُصوّر بها الحقائق الخارجة عن الحسّ في صورة المحسوس؛ لتقريبها من الحسّ، وهو القائل عزّ وجلّ: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[1]. وهو كثيرٌ في كلامه تعالى، ومنه العرش والكرسيّ واللوح والكتاب، وقد تقدّمت الإشارة إليها، وسيجيء بعضٌ منها. وعلى هٰذا يكون المراد من السماء الّتي تسكنها الملائكة عالمًا ملكوتيًّا ذا أفقٍ أعلى، نسبته إلى هٰذا العالم المشهود نسبة السماء المحسوسة بأجرامها إلى الأرض، والمراد باقتراب الشياطين من السماء واستراقهم السمع وقذفهم بالشهب اقترابهم من عالم الملائكة للاطّلاع على أسرار الخلقة والحوادث المستقبلة، ورميهم بما لا يطيقونه من نور الملكوت، أو كرّتهم على الحقّ لتلبيسه

(1) سورة العنكبوت: **43**.

ورمي الملائكة إيّاهم بالحقّ الّذي يبطل أباطيلهم»[1].

وإن كان هٰذا الحلّ ينفع في بعض الموارد، ولٰكن الحلّ الجذريّ ما سنشير إليه في مبحث "العلم الدينيّ" بشكلٍ مفصّلٍ.

5- نظريّة "الآليّة والأداتيّة" (Instrumentalism): بناءً على هٰذه النظريّة فإنّ للعلوم التجريبيّة والعلوم الدينيّة جهتين وحيثيّتين، الجهة الأولى هي إراءة الواقع والكشف والحكاية عن الواقع الخارجيّ. فيكشف العلم أو الدين بهٰذه الحيثيّة الغطاء عن الحقائق والأسرار الكونيّة، ويبيّن لنا الواقعيّات العينيّة، وهٰذا هو المقصود من الجانب الواقعيّ والعينيّ للعلم.

الجهة الثانية هي حيثيّة الآثار والنتائج العمليّة الّتي تنفع البشريّة، وتفيد الإنسان في حياته اليوميّة، مع غضّ النظر عن جهة الكاشفيّة والحكاية عن الواقع، ويمكن أن نعبّر عنها بالحيثيّة البراغماتيّة والعمليّة للعلم والدين.

السؤال هو أنّه متى يتحقّق التعارض بين العلم والدين؟ يتحقّق التعارض بينهما إذا كان أحدهما يخبر عن الواقع الخارجيّ بشيءٍ

(**1**) الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج **17**، ص **125**.

والآخر يحكي عنه بشيءٍ آخر، فهنا يتعارض العلم والدين من جهة الكشف والحكاية عن الواقع. ولٰكن إذا كان العلم أو الدين - بدلًا من أن يخبر عن الواقع ويكشف عنه - يفيد وينفع في المحاسبات والمعادلات الدقيقة، ويتنبّأ بالمستقبل للإنسان، ويخطّط ويبرمج له بحيث تترتّب آثارٌ ونتائج عمليّةٌ نافعةٌ في حياته، فهٰذا لا يستلزم التعارض والتنافي بينهما. تعتقد نظريّة الآليّة أو الأداتيّة بأن لا ننظر إلى العلم أو الدين من حيثيّة الكاشفيّة والإخبار عن الواقع، بل ننظر إليهما بوصفهما آلةً وأداةً ووسيلةً للحصول على النفع والفائدة.

إنّ هناك ثلاثة اتّجاهاتٍ في هٰذه النظريّة:

أ- نظريّة آليّة العلم: بمعنى أنّ العلوم الطبيعيّة ليست لها حيثيّة الكشف عن الواقع، بل المهمّ فيها أنّها آلةٌ ووسيلةٌ للمحاسبات والمعادلات الدقيقة الّتي تسهّل حياة الإنسان. كتب القسّيس والمتكلّم الألمانيّ أندرياس أسياندر (Andreas Osiander) (1498-1552م) مقدّمةً على كتاب كوبرنيكوس، ودافع الكاردينال بلارمين مشاور البابا في عصر غاليله عن هٰذا الاتّجاه. بناءً على نظريّة آليّة العلم الجديد، فإنّ الفرضيّات العلميّة لا تعكس الواقع ولا تحكي عنه، وهي تنبثق من التخيّلات الخلّاقة والأذهان الوقّادة لمبدعيها، وليست هي متّخذةً من الواقع. هٰذا الاتّجاه يحاول أن يجعل النظريّات العلميّة

فرضيّاتٍ محتملة الصدق وغير قطعيّةٍ ولا يقينيّةٍ. يعتقد آندرياس أسياندر (1498-1522م) أنّ مهمّة العالم التجريبيّ ليست توصيف الواقع، والحكاية عنه كما هو، بل إنّ مهمّته ووظيفته هي اقتراح فرضيّاتٍ ومحتملاتٍ لتبيين الواقع. يري آندرياس أنّه ليس من الضروريّ أن تكون الفرضيّات صحيحةً صادقةً أو ظنّيّةً تحتمل الصدق، بل تكفي للقضيّة العلميّة أو الفرضيّة العلميّة أن تفيدنا في المحاسبات والتنبّؤات.

إذن لا تعارض بين العلم والدين وفقًا لهذه النظريّة؛ لأنّ العلم لا يخبر عن الواقع حتّى يتعارض مع الدين في الكشف عن الواقع[1].

ب- نظريّة آليّة الدين: بمعنى أنّ الدين ليس كاشفًا وحاكيًا عن الأشياء الخارجيّة، بل الدين والقضايا الدينيّة يُعدّ آلةً ووسيلةً للحصول على أكثر نفعٍ وفائدةٍ عمليّةٍ في حياة الإنسان الفرديّة والاجتماعيّة. لقد ركّز وليم جيمس (William James) (1842-1910) على النظرية البراغماتيّة (Pragmatism) ويقول: «إنّ علامة الحقيقة أو معيارها العمل المنتج لا الحكم العقليّ، القضيّة

(1) على زمانى، امير عباس، علم عقلانيت و دين [العلم والعقلانيّة والدين]، ص 149.

الحقّة هي الّتي يستتبع تسليمُها نتائج مرضيةً ومحقّقةً لمطالبنا، فالمنهج العمليّ اتّجاهٌ أو موقفٌ مؤدّاه تحويل النظر عن الأوّليّات والمبادئ إلى الغايات والنتائج»[1].

بناءً على هٰذا الاتّجاه يعدّ الدين "أسطورةً مفيدةً ونافعةً"، ولا يحكي عن الواقع الخارجيّ.

المشكلة الأساسيّة الّتي تكمن في هٰذا الحلّ والعلاج هي أنّه يعتمد على أساسٍ خاطئٍ وغير صائبٍ، وهو النظريّة البراغماتيّة النفعيّة. وبناءً على المدرسة النفعيّة يعدّ النفع والفائدة والنتيجة العمليّة في حياة الإنسان معيار الصدق والكذب في القضايا، وليس المطابقة للواقع. وتستلزم النظريّة النفعيّة التورّط في النسبيّة وإنكار القطعيّات والمسلّمات.

6- هناك نظريّةٌ أخرى لحلّ معضلة التعارض بين العلم والدين، وهي محاولة تحميل النصوص الدينيّة على النظريّات العلميّة الحديثة، وتفسير الآيات القرآنيّة بحيث تتواءم وتتلاءم مع النظريّات العلميّة الحديثة. وهٰذا هو التفسير بالرأي الّذي ذمّته النصوص الدينيّة. ومن

(1) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص **417 – 419**.

مناصري هٰذه الفكرة الدكتور الذهبيّ في كتابه (التفسير والمفسّرون) وبعض الحداثيّين الّذين يجعلون القضايا العلميّة معيارًا ومقياسًا لكلّ شيءٍ، ولا يقتنعون إلّا بلغة العلم والتجربة الحسّيّة. قال العلّامة الطباطبائيّ حول هٰذا الاتّجاه التفسيريّ:

«وقد نشأ في هٰذه الأعصار مسلكٌ جديدٌ في التفسير، وذٰلك أنّ قومًا من منتحلي الإسلام في إثر توغّلهم في العلوم الطبيعيّة وما يشابهها، المبتنية على الحسّ والتجربة، والاجتماعيّة المبتنية على تجربة الإحصاء، مالوا إلى مذهب الحسّيّين من فلاسفة أوربّا سابقًا، أو إلى مذهب أصالة العمل (لا قيمة للإدراكات إلّا ترتّب العمل عليها بمقدارٍ يعينه الحاجة الحيويّة بحكم الجبر). فذكروا: أنّ المعارف الدينيّة لا يمكن أن تخالف الطريق الّذي تصدّقه العلوم... ثمّ ذكروا: أنّ الروايات، لوجود الخليط فيها لا تصلح للاعتماد عليها، إلّا ما وافق الكتاب، وأمّا الكتاب فلا يجوز أن يبنى في تفسيره على الآراء والمذاهب السابقة المبتنية على الاستدلال من طريق العقل الّذي أبطله العلم بالبناء على الحسّ والتجربة، بل الواجب أن يستقلّ بما يعطيه القرآن من التفسير، إلّا ما بيّنه العلم»[1].

---

(1) الطباطبائيّ، محمّدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج 1، ص 7.

لا يخفى أنّ المنهج العلميّ في تفسير القرآن يحاول أن يطبّق النظريّات العلميّة على القرآن، وهٰذا هو التفسير بالرأي الباطل.

7- نظريّة "العلم الدينيّ" وهي ما اخترناها للإجابة على نظريّة التعارض بين العلم والدين؛ ولٰكن قبل ذٰلك ينبغي أن نلتفت إلى النقاط التالية:

أ- هناك نماذج من التناغم والتلاؤم بين العلم والدين كموضوع حركة الشمس، وحركة الجبال والأرض، وعمليّة لقاح النباتات، وزوجيّة النباتات، وغيرها. فليس العلم والمدارس العلميّة التجريبيّة برمّتها مخالفةً ومعارضةً للدين والقضايا الدينيّة، بل إنّ هناك آراءً ونظريّاتٍ في الاتّجاهات والمدارس التجريبيّة الحسّيّة تتناغم مع التعاليم والمعارف الدينيّة، وإن كان بعض الجهات تصرّ على أن تركّز على تعارض العلم والدين إقصاءً للدين وعنادًا معه.

ب- أنّ كثيرًا من موارد التعارض بين العلم والدين تعدّ من التعارض الظاهريّ البدويّ، فالعلم لا يدّعي حصرًا في قضيّةٍ ويرفض ما سواه، على سبيل المثال أنّ العلم أثبت وجود سماءٍ واحدةٍ، ولم يرفض السماوات الستّ المذكورة في القرآن الكريم، بل سكت ولم ينكر ذٰلك، وكذٰلك بالنسبة إلى نظريّة تكامل الأنواع لداروين،

فإنّها لا تنكر خلقة الإنسان الابتدائيّة من التراب، بل تركّز على التكامل التدريجيّ للإنسان. إذن في كثيرٍ من القضايا والمعارف يدّعي العلم شيئًا ولا ينكر ما وراءه، بل يصمت ويوكله إلى البحوث والتجارب، وهٰذا يتلاءم مع ما يدّعيه الدين.

ج- أنّ شطرًا من الإنجازات والاكتشافات العلميّة ما زالت ولا تزال في حالة الفرضيّة، ولم يصل إلى مرحلة الإثبات القطعيّ، بل في بعض الأحيان لا توجد هناك فرضيّةٌ منافسةٌ لها، كنظريّة "تطوّر الأنواع" وكشف DNA الخلايا. وهٰذه الفرضيّات الظنّيّة المحتملة لا تعارض القضايا الدينيّة المسلّمة.

إذن ليست العلوم التجريبيّة ومعطياتها يقينيّةً وغير قابلةٍ للإبطال والنقض؛ لأنّ المنهج التجريبيّ يعجز عن اكتشاف العلّة المنحصرة والنهائيّة بين الأشياء والظواهر، فلعلّه توجد عللٌ وأسبابٌ خافيةٌ على العالم التجريبيّ وتكتشف في المستقبل. من جهةٍ أخرى يلاحظ أنّ المنهج التجريبيّ بدليل قصوره ومحدوديّته لا يستطيع أن يعثر على العلل والأسباب غير المحسوسة وغير المادّيّة في تحقّق الأشياء والظواهر الطبيعيّة، ولا يحقّ للتجربة الحسّيّة أن تنفي وترفض ما لا تثبته بالأدوات التجريبيّة المتأطّرة بإطار الحسّ والمادّة؛ لأنّ الحصول على ما وراء الحسّ والمادّة يحتاج إلى أدواتٍ ومناهج

تتلاءم مع ما وراء الطبيعة كالعقل والوحي والشهود الباطنيّ؛ لذا نرى أنّ كثيرًا من الفرضيّات والقوانين التجريبيّة تنتقض وتُبطل بعد فترةٍ بسبب اكتشافاتٍ وفرضيّاتٍ حديثةٍ، فالقضايا التجريبيّة تنتظر إبطالها ونسخها بطروّ فرضيّةٍ جديدةٍ، فليست هناك نظريّاتٌ وقواعد قطعيّةٌ يقينيّةٌ لا يشقّ عليها الغبار في العلوم التجريبيّة، فليس التعارض بين العلوم التجريبيّة والمعارف الدينيّة تعارضًا بين أمرين قطعيّين محسومين دائمًا[1].

د- مع أنّ العلوم التجريبيّة تطوّرت وتقدّمت إلى درجاتٍ عاليةٍ في العصر الراهن، ولٰكنّها تعاني من بعض الخلل والنواقص المعرفيّة في افتراضاتها المسبقة ومبادئها المعرفيّة والوجوديّة. على سبيل المثال نظريّة "الانفجار العظيم" أو تكوّن العالَم على نحو الصدفة في الفيزياء الّتي ذاع صيتها في الأوساط العلميّة مبتنيةٌ على فرضٍ خاطئٍ هو "الصدفة". حتّى في فيزياء الكوانتم الحديثة هناك نظريّاتٌ كخروجِ إلكترونٍ من مداره صدفةً وبشكلٍ عفويٍّ. بينما الصدفة هي بمعنى تحقّق المعلول بلا علّةٍ، وهي مرفوضةٌ عند العقل السليم. فجميع النظريّات المعتمدة على هٰذا الافتراض الخاطئ باطلةٌ بتبع بطلان مبادئها ومفروضاتها.

---

(1) مصباح يزدى، محمدتقى، رابطهى علم و دين [علاقة العلم والدين]، ص 148.

كذٰلك الأسس المعرفيّة والوجوديّة الّتي تعتمد عليها النظريّات في العلوم الإنسانيّة كالاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس والقانون والسياسة هي أسسٌ ومبادئ مادّيّةٌ محضةٌ لا تتلاءم مع المعايير العقليّة. على سبيل المثال أنّ شطرًا من النظريّات المعروفة في علم النفس بُنيت على أساس أنّ النفس الإنسانيّة ليست إلّا مجموعةً من الفعل والانفعالات العصبيّة في مخّ الإنسان ودماغه، وهٰذه رؤيةٌ مادّيّةٌ بحتةٌ إلى حقيقة الإنسان، وتنفي البُعد المجرّد والروح الإلٰهيّة في الإنسان[1].

هـ- أنّ الحلّ الرئيسيّ في موضوع تعارض العلم والدين يتمثّل في نظريّة "العلم الدينيّ" الّتي نبيّنها في ما يأتي.

العلم الدينيّ (Theistic Science)

قبل كلّ شيءٍ ينبغي أن نعرّف مفهوم "العلم الدينيّ"، ثمّ نبحث عن إمكانه ووقوعه أو عدم إمكانه. ليس المقصود من "العلم الدينيّ" هو العلوم الآليّة الّتي تُوظَّف لفهم النصوص الدينيّة كالصرف والنحو واللغة والبلاغة وما شابه ذٰلك، وكذٰلك ليس المراد منه ما يهتمّ بالمواضيع والمحاور الدينيّة كالفقه والتفسير والحديث والكلام وغيرها. وليس

---

(1) المصدر السابق، ص 34 و37.

المراد من العلم الدينيّ ما يبحث عن ظاهرة الدين كدراسة الدين من منظار علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الإنسان وما شابه ذٰلك، بل المراد منه أنّه هل يمكن تأسيس العلوم الطبيعيّة الدينيّة أو العلوم الإنسانيّة الدينيّة وتأصيلها؟ وهل يمكن تقسيم العلوم الطبيعيّة إلى دينيّةٍ وغير دينيّةٍ؟ وهل عندنا علم الاجتماع الدينيّ أو علم النفس الدينيّ أو علم الاقتصاد الدينيّ أو علم الفيزياء الدينيّ أو لا؟

بالنسبة إلى السابقة التاريخيّة لهٰذا الموضوع في العالم الإسلاميّ، فأوّل من ركّز على تأسيس الجامعات الإسلاميّة وأسلمة العلوم أو تأصيل العلم الدينيّ هو أبو الأعلى المودوديّ سنة 1930، إذ انتقد الأنظمة التعليميّة القديمة البعيدة عن التطوّرات الحديثة، وأيضًا انتقد النظام التعليميّ العلمانيّ، وأكّد على الاتّجاهات الإسلاميّة والطابع الدينيّ في العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة. ثمّ أتى من بعده الدكتور نقيب العطاس - رئيس المؤسّسة الدولية للحضارة والفكر الإسلاميّ في ماليزيا - في أواخر عام 1940، واهتمّ بالعلم الدينيّ وركّز عليه وتابعه.

ثمّ جاء الدكتور إسماعيل الفاروقيّ - أستاذ جامعة تمبل في فيلادلفيا - إذ أصرّ على أسلمة العلوم، وعقد مؤتمرًا دوليًّا لأسلمة الفروع العلميّة في ماليزيا عام 1984. ثمّ تابع العلماء والمفكّرون

هٰذا الموضوع في مصر وإيران وسائر البلدان الإسلاميّة، واهتموا به.

وقد تناوله بالبحث جمعٌ من الباحثين والمتخصّصين في موضوع العلم الدينيّ في العالم الغربيّ، وفي المسيحيّة أيضًا، بحيث عُقد مؤتمرٌ في كندا سنة 1988 حول هٰذا الموضوع[1].

النظريّات حول العلم الدينيّ

هناك اتّجاهان رئيسيّان بخصوص نظريّة "العلم الدينيّ"، فهناك اتّجاهٌ يرفض إمكان العلم الدينيّ ومطلوبيّته مطلقًا، ويقول إنّ العلم الدينيّ بالمعنى المقصود ليس ممكنًا في الواقع، ولا فائدة ولا جدوى فيه. في المقابل هناك اتّجاهٌ يركّز على إمكان العلم الدينيّ وتحقّقه[2]. ولا شكّ في أنّ النظريّات الأربع في بيان نسبة العلم والدين تلعب دورًا أساسيًّا في اختيار نظريّة "العلم الدينيّ" ورفضها.

أمّا الاتّجاه الّذي يرفض العلم الدينيّ، فهو الاتّجاه الّذي يتبنّى نظريّة "التعارض أو التمايز بين العلم والدين"، والاتّجاه الّذي يعترف

---

(1) كلشني، مهدي، من العلم العلمانيّ إلى العلم الدينيّ، ص 148.

(2) انظر: جمعٌ من أبرز المفكّرين، "العلم في إطار الدين، آراء وملاحظات حول دَيْنَنَة العلوم" ص 47 و185.

بإمكان العلم الدينيّ وضرورته هو الاتّجاه الّذي تبنّى نظريّة "التعاضد والتكامل بين العلم والدين".

ويستدلّ التيّار النافي للعلم الدينيّ بأدلّةٍ أهمّها: أنّ العلم الطبيعيّ والتجريبيّ له موضوعٌ معيَّنٌ ومنهجٌ محدّدٌ وغايةٌ مشخَّصةٌ وهي الكشف عن أسباب الظواهر الطبيعيّة والعلاقات الموجودة بينها، وهٰذه الأمور خارجةٌ عن اختيارنا، ولا يتيسّر لنا تغييرها وتبديلها، فهناك نوعٌ واحدٌ من العلم وهو العلم التجريبيّ الّذي حصل عليه البشر عن طريق المنهج الحسّيّ التجريبيّ. إذن العالِم يستخدم منهجًا معيَّنًا لكشف هٰذه القوانين الطبيعيّة الثابتة وتوصيفها، ولا دور للدين والمعارف العلميّة في كشفها، فليس هناك علم الاقتصاد الإسلاميّ وغير الإسلاميّ، ولا علم الاجتماع الدينيّ وغير الدينيّ، وكذا الحال في باقي العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة.

أمّا المناصرون لنظريّة العلم الدينيّ فيعتقدون بأنّ العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة تعتمد على أسسٍ ومبادئ وقِيَمٍ دينيّةٍ ومتافيزيقيّةٍ تؤثّر على النظريّات والفرضيّات العلميّة. بمعنى أنّ الرؤية الكونيّة والافتراضات المسبقة المتافيزيقيّة والمعتقدات الدينيّة لها تأثيرٌ بالغٌ ودورٌ مهمٌّ في إبداع النظريّات العلميّة واختيارها وتقييمها، وحتّى في توظيفها واستخدامها.

إنّ النتائج والمعطيات التجريبيّة تختلف باختلاف الرؤية الكونيّة والموقف الّذي يتّخذه العالِم في تفسير الكون من رفض البُعد المتافيزيقيّ والتوحيديّ للعالَم وللإنسان، وحصره في المادّة أو قبول البُعد المتافيزيقيّ والتوحيديّ والاعتقاد بما وراء المادّة. خاصّةً من ناحية معرفة الإنسان والأنثروبولوجيا، فإذا عرّف العالِم التجريبيّ حقيقة الإنسان تعريفًا ماديًّا محضًا فهٰذا التعريف يؤثّر على نظريّاته العلميّة والفرضيّات الّتي يعتمد عليها ولا يُثمر إلّا علمًا فارغًا من الرؤية الإلٰهيّة إلى الطبيعة، وهٰذه النزعة المادّيّة إلى العلم تستلزم الرؤية البراغماتيّة النفعيّة الّتي تحاول أن تسخّر الطبيعة لأجل مصالحها الحيوانيّة، وبالتبع تدمّر البيئة والطبيعة. ولٰكن إذا عرّف الإنسان تعريفًا يشمل الأبعاد الجسميّة والروحيّة له، ويلاحظ كمال البُعدين معًا فيختلف الوضع في اختيار النظريّات العلميّة ويُنتج علمًا دينيًّا له رؤيةٌ توحيديّةٌ إلٰهيّةٌ، وتستلزم هٰذه الرؤية احترام الإنسان بوصفه خليفة الله - تعالى - في الأرض، وتعظيم الطبيعة بوصفها صنع الله ومظهر تجلّياته تعالى.

فإذا نظر الباحث والعالم التجريبيّ إلى عالَم الطبيعة بوصفه صنع الله تعالى، وليس شيئًا أزليًّا مستغنيًا عن الموجِد، ودرس ذٰلك في ضوء الرؤية الكونيّة الإلٰهيّة، فسيحاول أن يوظّف العلوم الطبيعيّة في

خدمة البشريّة ونفعهم وتطوّرهم من النواحي المادّيّة والمعنويّة، ولٰكن إذا نظر إلى العلوم الطبيعيّة وكأنّها آلةٌ للوصول إلى الطموحات الحيوانيّة والملذّات والإباحيّات والرفاهيّات، وأغمض بصره عن أنّ الكون آيةً من آيات الله، ومظهرًا من مظاهر الله الّتي تجلّى الله فيها بحكمته وقدرته وعظمته؛ فيسعى في تدمير الطبيعة والبيئة واستخدامها في إبادة الحرث والنسل وإفساده.

بالنسبة إلى دور الرؤية الكونيّة وتأثيرها في اختيار النظريّات العلميّة نضرب مثالًا وهو: أنّ الرؤية الكونيّة الإلحاديّة جعلت بعضَ علماء الفيزياء يرفض نظريّة "الانفجار العظيم" (Big Bang)، ويبحث عن نظريّةٍ بديلةٍ لها، وهٰذا بسبب أنّ التسليم لنظريّة الانفجار العظيم يستلزم أن يكون العالَم حادثًا زمانيًّا مسبوقًا بالعدم، وكلّ حادثٍ زمانيٍّ يحتاج إلى علّةٍ موجِدةٍ وهي الله. فاعتبر بعض علماء الفيزياء أنّ نظريّة "الانفجار العظيم" من الشواهد العلميّة العظيمة على وجود الله[1]. ولٰكنّ الخبير بالأبحاث العقليّة يعرف أنّ معيار حاجة المعلول إلى العلّة ليس الحدوث الزمانيّ، بل الإمكان الذاتيّ والفقر الوجوديّ هو ملاك حاجة المعلول إلى العلّة،

______

(1) انظر: كلشني، مهدي، من العلم العلمانيّ إلى العلم الدينيّ، ص 153.

فمع فرض قِدم العالَم تستمرّ الحاجة إلى العلّة أيضًا.

كذٰلك تؤثّر الافتراضات المتافيزيقيّة المسبقة والخلفيّات الفلسفيّة في تقييم النظريّات العلميّة ونقدها، فعلى سبيل المثال ينتقد أينشتاين فيزياء الكوانتم بسبب وجود بعض المفروضات والخلفيّات الفلسفيّة المتافيزيقيّة كبناء بعض نظريّات كوانتم على أساسٍ خاطئٍ وهو "الاتّفاق والصدفة" أو "الذهنيّة"، ثمّ يقترح أينشتاين معايير وموازين لاختيار النظريّة العلميّة الصحيحة، وتتميّز تلك المعايير بالبساطة والجمال، والوحدة والشموليّة.

من جهةٍ أخرى القول إنّ للعالَم والكون غايةً وهدفًا يسير نحوه يؤثّر على النظريّات العلميّة الّتي يتبنّاها العالِم أشدّ التأثير. ولا شكّ في أنّ مهمّة العلم ووظيفته كشف القوانين السائدة على الطبيعة، وكيفيّة العلاقة بين ظواهرها وأجزائها، وأمّا السؤال هل للطبيعة غايةٌ وهدفٌ؟ فكان جواب العلم السكوت؛ لا رفض ولا تأييد. ولٰكن مع انتشار العلمانيّة وفكرة أنّ للعلم التجريبيّ هيمنةً وسيطرةً مطلقةً على جميع مناحي حياة الإنسان، دفع ببعض علماء الطبيعة الملحدين إلى أن يرفضوا الغاية والرؤية الغائيّة للطبيعة والعالَم؛ لأنّهم شعروا بأنّ السؤال عن غاية العالَم يؤدّي إلى إثبات وجود الله - تعالى - ودوره في تدبير العالَم.

يعتقد أبو الأعلى المودوديّ أنّ هناك جانبين في كلّ العلوم الطبيعيّة: الجانب الأوّل يتألّف من كشف الواقع الطبيعيّ واكتشاف حقائقه. والجانب الثاني يتشكّل من رؤية الإنسان ونظره الخاصّ في تنظيم هٰذه الحقائق وترتيبها وتدوينها في قالَب النظريّات والمفاهيم. فينبغي التفكيك والتمييز بين هٰذين الجانبين: الجانب الأوّل وهو ما يتعلّق بكشف الحقائق والواقعيّات العينيّة، فهي شاملةٌ عامّةٌ لا تنصبغ بصبغة الأيديولوجيّات والافتراضات المسبقة، ولا تنطبع بطابعٍ فكريٍّ واجتماعيٍّ خاصٍّ، بل هٰذه القوانين المكتشفة شائعةٌ وشاملةٌ للجميع. ولٰكن في الجانب الثاني نجد للافتراضات المسبقة والرؤى الكونيّة دورًا في تنظيمها وترتيبها، فالّذي ينتمي إلى الفكر الشيوعيّ ويفسّر الكونَ والإنسانَ تفسيرًا مادّيًّا محضًا يحاول أن يبيّن النظريّات العلميّة ويوظّفها وفقًا لرؤيته الكونيّة والأيديولوجيا الّذي يعتمد عليها. وكذا المدارس الفلسفيّة المعاصرة - كالفلسفة الوضعيّة والتجريبيّة الّتي تحصر الواقع في المادّة والمادّيّات، وتنكر وجود الله والروح الإلٰهيّة في الإنسان - تحاول أن تفسّر الواقع الطبيعيّ والتجريبيّ وفقًا لرؤيتها الكونيّة وأيديولوجيّتها الخاصّة. فالمراد من أسلمة العلوم الطبيعيّة ووضعها في ضمن إطار الرؤية الكونيّة التوحيديّة والمعتقدات الدينيّة أن نقدّم لها تعريفًا إلٰهيًّا توحيديًّا عن الكون والإنسان.

إذن ليس معنى "العلم الدينيّ" هو تعطيل المختبرات ورفض النظريّات الفيزيائيّة والكيميائيّة أو عدم الاعتناء بالاكتشافات في علم الأحياء، وليس أيضًا معناه أن نستخرج القواعد الكيميائيّة والفيزيائيّة وما يتعلّق بعلم الأحياء من القرآن والسنّة، بل معناه أن نبحث عن القضايا العلميّة في إطارٍ توحيديٍّ إلٰهيٍّ وفي ضمن رؤيةٍ كونيّةٍ توحيديّةٍ؛ لأنّ الرؤية الدينيّة الروحانيّة لها دورٌ وتأثيرٌ عميقٌ في توظيف العلم واستخدامه في اتّجاهٍ صحيحٍ ومطلوبٍ، وتجعل العلم في نطاق نظامٍ موحّدٍ منسجمٍ مصنوعٍ لله تعالى، وله غايةٌ متعاليةٌ مقدّسةٌ وهي التقرّب إلى الله - تعالى - والوصول إلى السعادة الحقيقيّة.

الجدير بالذكر هو: أنّ المشكلة الرئيسة في الجامعات والأوساط العلميّة في عالَمنا الإسلاميّ تكمن في عدّة أمورٍ:

1- إرجاع الواقع الخارجيّ من الناحية الوجوديّة والأنطلوجيّة إلى الواقع المادّيّ المحسوس (إشاعة الرؤية الكونيّة المادّيّة، وأنّ الوجود منحصرٌ في المادّة والمحسوس).

2- حصر المعرفة البشريّة من الناحية المعرفيّة والأبيستمولوجيّة في المعرفة الحسّيّة التجريبيّة (أصالة الحسّ والتجربة الحسّيّة).

3- عدم التعرّف على حدود العلوم التجريبيّة ونواقصها ومحدوديّتها

من قبل بعض علماء الطبيعة (عدم التعرّف على فلسفة العلم).

4- الجهل بحقيقة أنّ العلوم الطبيعيّة تبتني على افتراضاتٍ متافيزيقيّةٍ مسبقةٍ ومبادئ عقليّةٍ، ويحاول بعض علماء الطبيعة إخفاءها وكتمانها.

5- الرؤية النفعيّة البراغماتيّة إلى العلوم الطبيعيّة التجريبيّة وتوظيفها لتحقيق الراحة والرفاهية واللذّات الحيوانيّة، وعدم الرؤية التوحيديّة إلى الطبيعة كصنع الله - تعالى - ونفي الغاية الّتي توحّد بين أجزاء عالم الطبيعة[1].

6- عدم الالتفات إلى المبدإ الفاعليّ للعالَم، وهو الله - تعالى - الّذي أنشأ الكون وأتقن صنعه، وبالمبدإ الغائيّ وهدف الخلقة؛ لذا الاعتناء بالمبدإ الفاعليّ لعالَم الطبيعة والمبدإ الغائيّ يُعدّ من الركائز الأساسيّة في العلم الدينيّ، خلافًا للمدرسة الوضعيّة التجريبيّة الّتي تقصر نظرها على العلل المادّيّة للأمور، وتُهمل الرؤية التوحيديّة لدراسة الحقائق الطبيعيّة[2].

---

(1) كلشني، مهدي، من العلم العلمانيّ إلى العلم الدينيّ، ص **156**.

(2) جوادى آملي، عبدالله، منزلت عقل در هندسهى معرفت دينى [منزلة العقل في هندسة المعرفة الدينيّة]، ص **108**.

الخاتمة

تمّ استعراض النظريّات المطروحة حول نسبة العلم والدين وهي: نظريّة التعارض، ونظريّة التمايز، ونظريّة التداخل، ونظريّة التعاضد والتكامل، وتمّ وضعها في ميزان النقد والتقييم. وتوصّلنا إلى أنّ النظريّة المطلوبة والصحيحة الّتي تؤيّدها الأدلّة العقليّة في نسبة العلم والدين هي نظريّة التعاضد والتكامل بالمعنى الّذي طرحناه في "الخدمات المتبادلة بين العلم والدين".

من جهةٍ أخرى هناك اقتراحاتٌ مختلفةٌ في علاج التعارض بين العلم والدين من التفريق بين موضوع العلم والدين ومنهجهما وغايتهما ولغتهما. ولٰكنّ هٰذه الحلول والمعالجات لرفع التعارض بين العلم والدين تعاني من إشكالاتٍ كثيرةٍ. وأخيرًا فإنّ نظريّة "العلم الدينيّ" هي الحلّ الأساس والعلاج الجذريّ لتعارض العلم والدين. وذكرنا أنّ هناك اتّجاهين رئيسيّين في إمكان العلم الدينيّ وأسلمة العلوم: الاتّجاه النافي والمثبت. وقد تمّ إثبات ضرورة العلم الدينيّ وبيّنا أنّ الأسباب الّتي تجعل العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة دينيًّا هي

عبارةٌ عن: الرؤية الكونيّة التوحيديّة الإلٰهيّة، والتركيز على أنّ للعالَم غايةً ساميةً هي الله تعالى، والافتراضات المتافيزيقيّة المؤثّرة على اختيار النظريّات العلميّة وتقييمها.

المصادر

1. پترسون، مايكل و...، ترجمه احمد نراقى و ابراهيم سلطانى، عقل و اعتقاد دينى [العقل والاعتقاد الدينيّ]، تهران، طرح نو، چاپ سوّم، 1379 هـ. ش.

2. جوادى آملى، عبد الله، منزلت عقل در هندسه‌ى معرفت دينى [منزلة العقل في هندسة المعرفة الدينيّة]، مركز نشر إسراء، قمّ، چاپ يكم، 1386 هـ. ش.

3. جوادى آملى، عبدالله، حقيقت دين [حقيقة الدين]، تعريب: عادل لغريب، بيروت، مؤسّسة العرفان للثقافة الإسلاميّة، الطبعة الأولى، 1436 هـ.

4. جيلسون، اتين، عقل و وحى در قرون وسطى [العقل والوحي في القرون الوسطى]، ترجمه‌ى شهرام بازوكى، انتشارات گروس، تهران، چاپ دوّم، 1378 هـ. ش.

5. ساجدى، ابوالفضل و...، دين در نگاهى نوين [الدين في رؤيةٍ جديدةٍ]، انتشارات موسسه‌ى آموزشى پژوهشى امام خمينى، قم، چاپ يكم، 1388 هـ. ش.

6. سروش، عبدالكريم، دانش و ارزش [العلم والقيمة]، تهران، سيستما فرم، چاپ دوّم، 1358 هـ. ش.

7. شيروانى، على و...، مباحثى در علم كلام جديد [بحوثٌ في الكلام الجديد]، قمّ، مركز بحوث الحوزة والجامعة، الطبعة الأولى 1391 هـ. ش.

8. الصدر، محمّدباقر، بحوثٌ في علم الأصول، تقريرات هاشمي شاهرودي، قمّ، موسّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، الطبعة الثالثة، 1417 هـ.

9. الطباطبائيّ، محمدحسين، القرآن في الإسلام من منظار التشيّع، مكتب النشر الإسلاميّ، قمّ، الطبعة الأولى، بلا تأريخٍ.

10. الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مكتب النشر الإسلاميّ، قمّ، الطبعة الخامسة، 1417 هـ.

11. على زمانى، امير عباس، علم عقلانيت و دين [العلم والعقلانيّة والدين]، قمّ، منشورات جامعة قمّ، الطبعة الأولى، 1383 هـ. ش.

12. الغزاليّ، أبو حامدٍ محمّد بن محمّدٍ، جواهر القرآن، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القباني، بيروت، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى چاپ يكم، 1985 م.

13. فرامرز قراملكى، احد، هندسهى معرفتى كلام جديد [الهندسة المعرفيّة للكلام الجديد]، تهران، مؤسسهى فرهنگى دانش و انديشهى معاصر، چاپ يكم، 1378 هـ. ش.

14. گلشنى، مهدى، علم، دين و معنويت در آستانهى قرن بيست و يكم [العلم والدين والمعنويّة في أعتاب القرن الحادي والعشرين]، تهران، پژوهشگاه علوم انسانى و مطالعات فرهنگى، چاپ يكم، 1379 هـ. ش.

15. كلشني، مهدي، من العلم العلمانيّ إلى العلم الدينيّ، ترجمة: سرمد الطائي، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

16. مصباح يزدى، محمدتقى، نظريه سياسى اسلام [النظريّة السياسيّة للإسلام]، قمّ، مؤسّسة الإمام الخمينيّ للتعليم والأبحاث، چاپ يكم، 1378 هـ. ش.

17. مصباح يزدى، محمدتقى، رابطهى علم و دين [علاقة العلم والدين]، قمّ، مؤسّسة الإمام الخمينيّ للتعليم والأبحاث، چاپ دوّم، 1393 هـ. ش.

18. مطهرى، مرتضى، بيست گفتار [عشرون مقالًا]، قم، انتشارت صدرا، چاپ بيست و دوّم، 1384 هـ. ش.

19. مصطفى ملكيان، مقالة: بررسى گونه‌هاى تعارض بين علم و دين [دراسة أنواع التعارض بين العلم والدين]، مجلّه‌ى مصباح، قم، عدد 10، چاپ يكم، 1373 هـ. ش.

20. ابن بازٍ، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن، رسالة الأدلّة النقليّة والحسّيّة على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الثانية، 1402 هـ.

21. مطهرى، مرتضى، مجموعه‌ى آثار (انسان و ايمان) [مجموعة المؤلّفات (الإنسان والإيمان)، الطبعة الثامنة، قم، 1377هـ. ش.

22. الشريف، عدنان، من علوم الأرض القرآنيّة، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ، 1993 م.

23. الطبرسيّ، أحمد بن عليٍّ، الاحتجاج على أهل اللجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، مشهد، نشر المرتضى، الطبعة الأولى، 1403 هـ.

24. ابن كثيرٍ، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، 1419 هـ. ق.

25. معرفت، محمدهادى، التمهيد في علوم القرآن، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، الطبعة الثانية، 1416 هـ.

26. گروهى از محققان (زير نظر محمدعلى رضايى اصفهانى)، پرسش‌هاى قرآنى جوانان [الأسئلة القرآنيّة للشباب]، قم، نسيم حيات، الطبعة الثانية، 1393 هـ. ش.

27. كنط، عمانوئيل، نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبة، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2017 م.

28. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الدراسات الفلسفيّة، بيروت، الطبعة الخامسة، 2002 م.

29. جمعٌ من أبرز المفكّرين، "العلم في إطار الدين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنَة العلوم"، ترجمة: عبد الكريم الجناني، مركز المصطفى العالميّ للترجمة والنشر، قمّ، الطبعة الأولى، 1431 هـ.

30. Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, New York: Oxford University Press, Fifth Edition, 2013.

31. Ian G. Barbour, Issues In Science and Religion: New Jersey,19.

32. Etienne Gilson, "Reason And Revelation In The Middle Ages, New York, 1939.

33. Alfred North Whitehead. Science and the Modern World (New York: The Free Prss, 1925).

34. Henry Margeneau and Roy A. Varghese, eds., Cosmos, Bios, Theos (La Salle, Illinois: Open Court, 1992) .

35. A. P. French, Einstein, A Centnary Volume (London: Heinmann, 1979), P. 67 .

36. The Christian Science Monitor, July 9, 1998, P. B4.

37. Trigg, Roger, Rationality and Religion, (UK: Oxford, Blackwell, 1999).